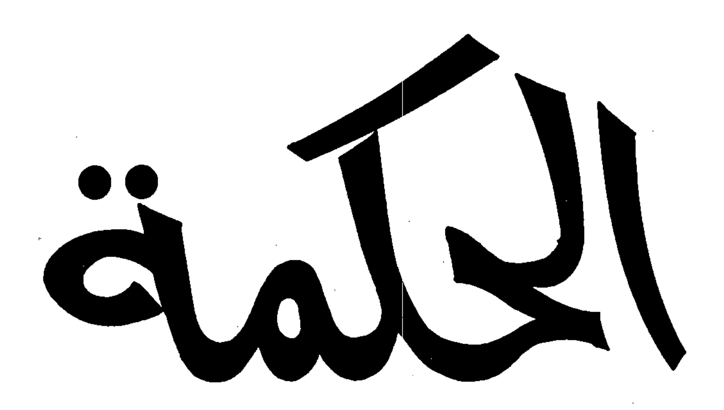

﴿ومَن يُؤتَ الحكمةَ فقد أوتيَ خيراً كثيراً﴾

د. ناصر بن سليمان العمر

دار الوطن للنشر

الرياض - شارع العليا العام - ص.ب: ٣٣١٠

☎ ٤٦٤٤٦٥٩ - ٤٦٢٦١٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

شعبان ١٤١٢هـ

إلــى متــى عدم الحكمة

عندما ألقيت محاضرة (الحكمة) في الرياض، ك
أوّل سؤال يرد إليّ بعد الانتهاء، من المحاضرة (
متى الحكمـة)؟ فازدادت قنـاعتي أنّ هذه الصحـ
تحتـاج إلى جهـود مضـاعفـة لتـوجيهها إلى المنهـ
الشرعي، منهـج أهـل السنة والجماعة، قبل أن ت
العقول والأقدام.

وإذا كانت بذلت جهود مباركة ـ ولاتزال تبذل
من أجـل عودة الناس إلى دينهم وعقيدتهم، وحي
حقّقت هذه الجهود ـ بعد توفيق الله ـ وبتوفيق من
سبحانه وتعالى ـ تلك الآثار الإيجابية التي نراها
عودة الأمة إلى الله جماعات وآحادًا، رجالاً وركباناً
فإن واجب العلماء وطلّاب العلم والدعاة أن يوجّ
جلّ اهتمامهم لتربية هذه الجموع، ويبيّنوا لهم الطر
الصحيح، لئلاّ تغرق السفينة **بمن فيها**، فإن الع
ليست (**بالكم**)! ولكن (**بالكيف**)!!.

ولذا رأيت أن من الحكمة طرح موضوع الحك
بحكمة وأسأل الله التوفيق والسداد وحسن القص
والمآل.

المؤلف

تقـديـم:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يـا أيُّها الذين آمنوا اتّقُوا الله حقَّ تُقاته ولا تَموتُنَّ إلا وأنتم مسلِمُـونَ﴾. (آل عمـران، الآية: ١٠٢). ﴿يا أيُّها الناسُ اتّقُوا ربَّكُم الذي خَلَقَكُم من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زَوْجَها وبثَّ منهما رجالاً كثـيراً ونساءً، واتَّقوا اللهَ الذي تساءَلُون به والأرحامَ إن الله كان عليكم رقيبًا﴾. (النساء، الآية: ١).

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولُوا قولاً سديدًا، يصلحْ لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيمًا﴾. (الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١).

أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال الله ـ جل وعـلا ـ: ﴿يُؤتي الحكمـةَ من يشاء ومن يُؤتَ الحكمةَ فقد أُوتي خيراً كثيراً وما يذَّكّرُ إلا أولواْ الألبابِ﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩).

وقال سبحانه: ﴿ادعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادِلهم بالتي هي أحسنُ﴾. (النحل، الآية: ١٢٥). فلِما للحكمة من مكانة عظيمة من الكتاب والسنة، ولحاجة الأمة حاضرًا ومستقبلاً إليها في كل شئونها، ولخفاء معنى الحكمة على كثير من المسلمين، فقد قمت ببحث هذا الموضوع في ضوء القرآن الكريم، مسترشدًا بآياته، مستشهدًا بقصصه، متأمِّلاً لأوامره، ونواهيه، مع النهل من معين السنة في فهم معنى الحكمة، لأن السنة هي المصدر الثاني من مصادر تفسير القرآن الكريم وفهمه.

كما أفدتُ من كلام السلف من الصحابة ومن بعدهم، توضيحًا لمعاني الحكمة ومدلولاتها، وقد بذلت جهدي، وحرصت على ضرب بعض الأمثلة من الواقع المعاصر، تقريبًا للفهم، وتحقيقًا للقصد.

وقد عشت مع هذا الموضوع فترة طويلة متأمّلاً وباحثًا ومحقِّقًا، ولم أُقدم على تدوينه ونشره إلا بعد قناعتي بأنه قد استوى على سوقه، مع حاجة الناس إليه.

أسأل الله أن يُحسن لنا المقاصد والنيّات، وأن يُوفقنا للحكمة في أقوالنا وأفعالنا، ونيّاتنا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

أهميـة الموضوع

تظهر أهمية موضوع الحكمة من خلال التأمُّل في العناص
التالية :

١ ـ أن لفظ «الحكيم» ورد في القرآن الكريم عشرات المرات[١].

٢ ـ أن «الحكيم» اسم من أسماء الله تعالى .

٣ ـ أن الله قد أمـر بالحكمـة ، فقال سبحانه : ﴿**ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ . (النحل، الآية : ١٢٥).

٤ ـ أن الله أثنى على صاحب الحكمة فقال : ﴿**ومن يؤت الحكم فقد أوتي خيراً كثيراً**﴾ . (البقرة، الآية : ٢٦٩). وامتن على لقما حيث آتاه الحكمة فقال : ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشك لله**﴾ . (لقمان، الآية : ١٢).

٥ ـ أن الله نسب الحكمـة إلى نفسـه ، وجعل إيتاءها من عند فقال : ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء**﴾ . (البقرة، الآية : ٢٦٩). وقال ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾ . (لقمان، الآية : ١٢). وقال : ﴿**ول بلغ أشـده آتينـاه حُكمًا وعلمًا**﴾ . (يوسف، الآية : ٢٢). وقال ﴿**وقتـل داود جالـوت وآتـاه الله الملك والحكمة**﴾ . (البقرة الآية : ٢٥١). إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

---

(١) ورد بلفظ «حكيم» (٨١) مرة ، و«حكيمًا» (١٦) مرة .

ـ أن الحكمــة هي الفقـه في دين الله، كما فسرهـا كثـير من السلف، والرسول، ﷺ، يقول: «**مَن يُرد الله به خيراً يفقهْه في الدين**»[٢]

ـ أن الحكمة ضالة المؤمن، متى وجدها فهو أحق بها.

ـ أن الرسول، ﷺ، دعا لابن عمه، عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: «**اللهم علِّمه الحكمة**»[٣]

ـ أن مدار نجاح الدعوات على الحكمة.

١ الفهم الخاطىء لمعنى الحكمة من قبل كثير من الناس.

١ مداهنة الظالمين، وضياع الحق، والسكوت على الباطل في كثير من بلاد المسلمين باسم الحكمة.

١ ـ أن الحكمة ظُلمتْ من قبل الخاصة والعامة، فالخاصة وهم بعض صغار طلاب العلم، فمنهم من يدَّعيها لنفسه، وينسب أعماله إلى الحكمة، وقليل ما هم.

والعـامة يصفون كل من أمرهم بخلاف ما هم عليه من هوى أو شهوة، وأنكر بدعهم وضلالاتهم، يسمونه بعدم الحكمة، كالتطرف والعجلة، ونحو ذلك مما يضاد الحكمة.

---

(٢) البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) البخاري (٣٧٥٦).

١٣ ـ أنَّ الصحوة الإسلامية في يقظتها المعاصرة أحوج ما تكو
إلى الحكماء.

١٤ ـ أن بعض المواقف والأعمال التي قامت بها بعض الجماعات
الإسلامية، وبعض الدعاة الغيورين كانت تفتقر إلى
الحكمة، كالدخول في معارك عسكرية مع الأنظمة، حتى
وإن كانت كافرة[٤]، وقد جرَّت مثل هذه الأعمال على أمت
عمومًا، وعلى الدعاة خصوصًا الويلات.

ومثل ذلك أسلوب الاغتيالات، أو إحراق أماكن الفساد
في بلد لا يملك فيه المسلمون السلطة.

وكل ذلك بسبب عدم الحكمة الناشىء عن الجهل في فه
النصوص ودلالاتها.

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية الحكمة، بل أهمية الحديث عن
في ضوء القرآن الكريم.

---

(٤) وهذا لا يعني إبطال الجهاد، فالجهاد ماض إلى يوم القيامة ولكن الجهاد له شروط
وأسبابه وأحكامه.

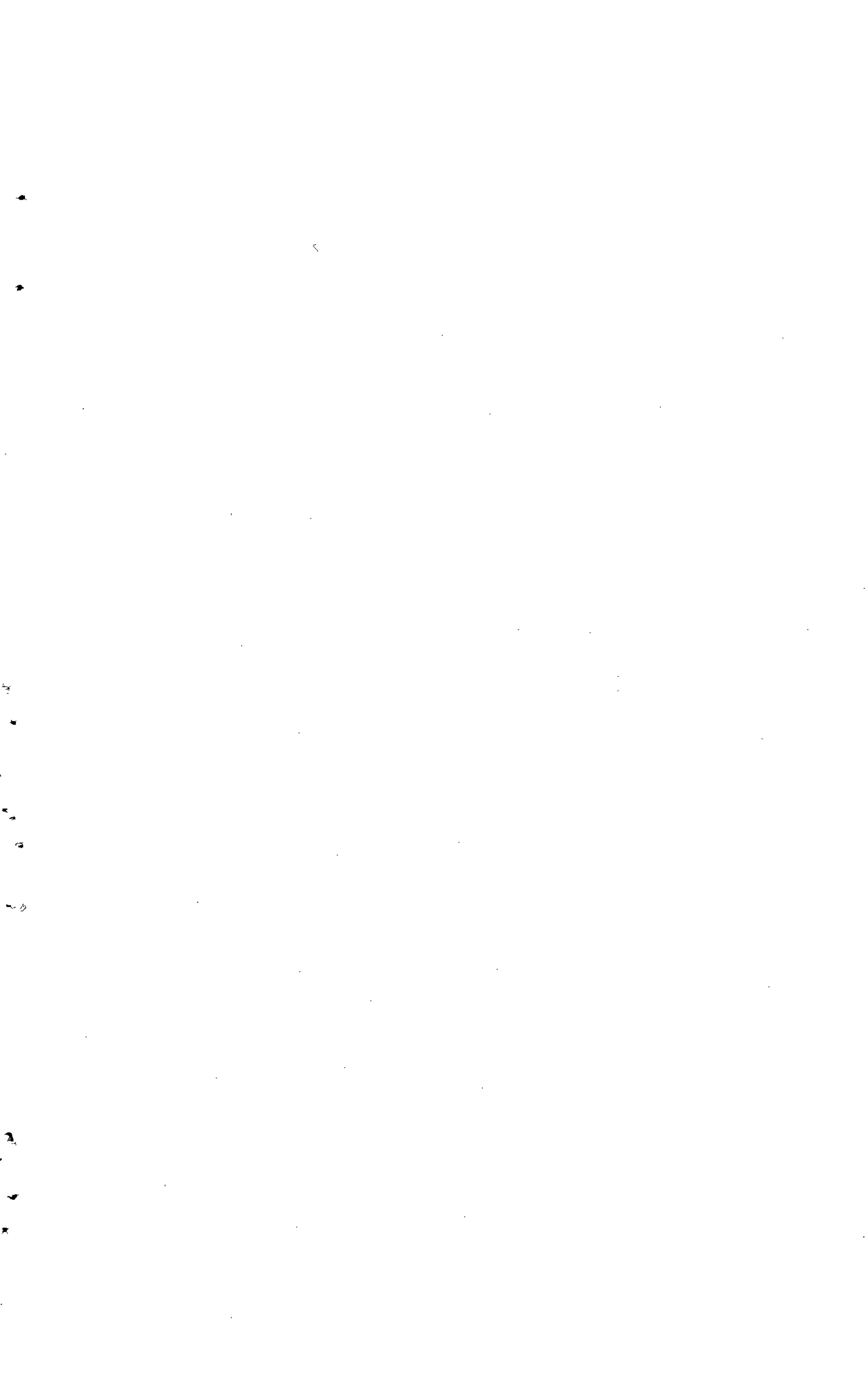

معنى الحكمة

ورد للحكمة عدة معانٍ، وهي معانٍ خاصة وعامة، **وسأعالج هذه المعاني من خلال القنوات التالية**:

١ ـ المعنى اللغوي.

٢ ـ الحكمة في القرآن الكريم.

٣ ـ الحكمة كما وردت في السنة.

٤ ـ الحكمة كما عرَّفها بعض العلماء.

ثم بعد ذلك أذكر خلاصة تجمع بين هذه المعاني.

١ ـ المعنى اللغوي للحكمة:

قال ابن فارس: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها.

والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل، والمحكَّم المجرِّب المنسوب إلى الحكمة. قال طرفة:

ليت المحكّم والموعوظ صوتكما
تحت التراب إذا ما الباطل انكشفا

أراد بالمحكّم الشيخ المنسوب إلى الحكمة[٥].

---

(٥) معجم مقايس اللغة لابن فارس مادة (حكم) جـ٢/٩١.

وقال ابن منظور:

قيل: الحكيم: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم[٦].

وقال الجوهري:

الحكم: الحكمة من العلم.

وصاحب الحكمة: المتقن للأمور.

وقد حكُم ـ بضم الكاف، أي صار حكيمًا، **قال النمر بن تولب:**

وأبغض بغيضك بغضًا رويدًا
إذا أنت حاولت أن تحكُما

قال الأصمعي: أي إذا حاولت أن تكون حكيمًا. والمحكَّم ـ بفتح الكاف ـ هو الشيخ المجرب، المنسوب إلى الحكمة[٧].

وقال في تاج العروس:

والحكمة ـ بالكسر ـ العدل في القضاء كالحكم، والحكمة العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بمقتضاها، ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية، ويقال: هي هيئة القوة العقلية العلمية.

---

(٦) لسان العرب مادة (حكم) ١٥/ ٣٠.

(٧) الصحاح مادة (حكم) ٥/ ١٩٠١.

وقيل: الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعمل.

فالحكمة من الله: معرفة الأشياء، وإيجادها على غاي
الإحكام، ومن الإنسان: معرفته، وفعل الخيرات.

وأحكمه إحكامًا: أتقنه، ومنه قولهم للرجل إذا كان حكيمًا: قا
أحكمته التجارب.

وأحكمه: منعه من الفساد(٨).

وفي المصباح المنير: الحكمة وزان قصبة للدابة، سمّيت بذلك
لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه.

ومنه اشتقاق الحكمة، لأنها تمنع صاحبها من أخلاق
الأرذال(٩).

هذه أهمّ المعاني اللغوية التي وردت في الحكمة وأصلها.

وكلها تدور حول المنع، لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فيما يذ
فيه، أو ما قد يندم عليه، وتمنعه من اختيار المفضول دون
الفاضل، أو المهم قبل الأهم.

٢ - الحكمة في القرآن الكريم:

ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم عشرين مرة، في تسع عشرة
آية، في اثنتي عشرة سورة. وقد ورد لعدة معان، **وتفصيل ذلك كم**

---

(٨) تاج العروس مادة (حكم) ٨/٣٥٣.

(٩) المصباح المنير ١/٢٠٠.

يلي: اختلف المفسرون في تفسير الآيات الواردة بلفظ الحكمة، فنجد مقاتل ـ كما ذكر الرازي ـ يقول: **تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه:**

أحدها: **مواعظ القرآن**، قال ـ تعالى ـ في سورة البقرة، الآية: ٢٣١: **﴿وما أنزل عليكم من الكتابِ والحكمةِ يعظُكم به﴾**. ومثلها في آل عمران.

وثانيها: **الحكمة بمعنى الفهم والعلم**، ومنه قوله ـ تعالى ـ: **﴿وآتيناه الحُكم صبيًّا﴾**. (مريم، الآية: ١٢). وفي سورة لقمان، الآية: ١٢: **﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾**. يعني الفهم والعلم. وفي الأنعام، الآية: ٨٩: **﴿أولئك الذين آتيناهم الكتابَ والحُكمَ والنّبوة﴾**.

وثالثها: **الحكمة بمعنى النبوة**، ففي النساء ٥٤: **﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتابَ والحكمةَ﴾**، وفي ص ٢٠: **﴿وآتيناهُ الحكمة وفصلَ الخطاب﴾**. وفي البقرة: **﴿وآتاه الله الكتابَ والحكمةَ﴾**.

ورابعها: **القرآن** بما فيه من **عجائب الأسرار**، ففي النحل ١٢٥: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾** وفي البقرة ٢٦٩: **﴿ومن يُؤْتَ الحكمة فقد أُوتيَ خيراً كثيراً﴾**[١٠]

(١٠) انظر: التفسير الكبير للرازي ٧/٦٧ والحكمة في الدعوة إلى الله ص٢٠.

ويقول الفيروزآبادي:

وردت ـ الحكمة ـ في القرآن على ستة أوجه:

الأول: بمعنى النبوة والرسالة، ﴿ويعلمه الكتابَ والحكمةَ﴾. (آل عمران، الآية: ٤٨). ﴿وآتيناه الحكمةَ﴾. (ص، الآية: ٢٠). ﴿وآتاه الله الملكَ والحكمةَ﴾. (البقرة، الآية: ٢٥١). أي النبوة.

الثاني: بمعنى القرآن والتفسير والتأويل، وإصابة القول فيه: ﴿يُؤْتي الحكمةَ من يشاء ومن يؤتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩).

الثالث: بمعنى فهم الدقائق والفقه في الدين، ﴿وآتيناه الحُكْمَ صبيًّا﴾. (مريم، الآية: ١٢).

الرابع: بمعنى الوعظ والتذكير، ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتابَ والحكمةَ﴾. (النساء، الآية: ٥٤). أي المواعظ الحسنة، ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتابَ والحُكْمَ والنّبوةَ﴾. (الأنعام، الآية: ٨٩).

الخامس: آيات القرآن وأوامره ونواهيه، ﴿ادع إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ﴾. (النحل، الآية: ١٢٥).

السادس: بمعنى حجة العقل على وفق أحكام الشريعة، ﴿ولقد آتينا لقمانَ الحكمةَ﴾ (لقمان، الآية: ١٢). أي قولاً يوافق العقل والشرع [١١]

---

(١١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢ / ٤٩٠ والحكمة في الدعوة إلى الله ص١٨

وقال ابن كثير:

قال علي بن طلحة عن ابن عباس: يعني المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[١٢]

وقال ـ أيضًا ـ: روي عن ابن عباس مرفوعًا: الحكمة: القرآن، يعني تفسيره.

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد:

﴿يُؤْتِي الحكمةَ من يشاءُ﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩). ليست بالنبوة، ولكنهَ العلم والفقه والقرآن.

وقال إبراهيم النخعي: الحكمة: الفهم.

وقال أبو مالك: الحكمة: السنة.

وقال زيد بن أسلم: الحكمة: العقل.

وقال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة (هو) الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله.

قال السدي: الحكمة: النبوة.

وهذه الأقوال ذكرها ابن كثير ثم عقّب قائلًا: **والصحيح أن** الحكمة ـ كما قال الجمهور ـ لا تختص بالنبوة، بل هي أعمّ منها،

---

(١٢) تفسير ابن كثير ١/٣٢٢.

وأعلاها النبوة، والرسالة أخص[١٣]، ولكن لاتّباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع، كما جاء في بعض الأحاديث[١٤].

وقال عبدالرحمن السعدي مفسرًا الحكمة:

الحكمة: هي العلوم النافعة والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب، في الأقوال والأفعال. **ثم قال**: وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام[١٥].

وقال القاسمي في تفسير الحكمة:

قال كثيرون: الحكمة: اتقان العلم والعمل، وبعبارة أخرى معرفة الحق والعمل به[١٦]. وقال الرازي: والمراد بالحكمة: إمّا العلم، وإمّا فعل الصواب[١٧].

ونواصل الحديث عن (الحكمة) في كتاب الله كما بيّنه المفسرون.

---

(١٣) لأن كل رسول نبي ولا عكس.

(١٤) انظر: تفسير ابن كثير ١/٣٢٢.

(١٥) انظر: تفسير ابن سعدي ١/٣٣٢.

(١٦) انظر: تفسير القاسمي ١/٢٤٥.

(١٧) انظر: تفسير الرازي ٧/٦٧.

فقد قال رشيد رضا مفسرًا:

الحكمة: التمييز بين ما يقع في النفس من الإلهام الإلـهي والوسواس الشيطاني[١٨].

قال الألوسي: وفي (البحر) أن فيها تسعة وعشرين قولاً لأهل العلم، قريب بعضهـا من بعض، وعـدّ بعضهم الأكثـر منهـا اصطلاحًا واقتصارًا على ما رآه القائل فردًا مهمًّا من الحكمة، وإلا فهي في الأصـل: مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في علم أو عمل أو قول أو فيها كلها[١٩].

أمّا ابن عاشور فقد قال:

وفُسرت الحكمة بأنها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بما يبلغه الطاقة، أي: بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض، ولا يغلط في العلل والأسباب[٢٠].

ونختم أقوال المفسرين في الحكمة بما ذكره سيد قطب ـ رحمه الله ـ حيث فسَّر الحكمة بأنها:

القصد والاعتدال، وإدراك العلل والغايات، والبصيرة المستنيرة

---

(١٨) المنار ٣/٧٥.

(١٩) روح المعاني ٢/٤١.

(٢٠) التحرير والتنوير ٣/٦١.

التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال[21].

هذه خلاصة لأهم أقوال المفسرين في تفسير معنى الحكمة في كتاب الله، ونستطيع أن نقول: إن المفسرين فسَّروا الحكمة بتفسيرين:

الأول: النبوة.

الثاني: العلم والإتقان، والتوفيق، والبصيرة، والعمل الصائب ومنع الظلم، ووضع الشيء في موضعه، وكلها معانٍ متقاربة.

٣ ـ الحكمة في السنة:

السنة هي المفسرة للقرآن، وهي المصدر الثاني للتشريع، ولذ سأذكر بعض الأحاديث التي وردت في الحكمة مع الاختصار في ذلك:

وقد وردت بعض الأحاديث الصحيحة، وكثير من الأحاديث الضعيفة.

وسأقتصر على أهمّ الأحاديث الصحيحة في هذا الباب، مع ذكر بعض الأحاديث الضعيفة، وبخاصة المشتهر منها على الألسنة.

(٢١) في ظلال القرآن ١/ ٣١٢.

أولا: الأحاديث الصحيحة:

١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ضمني رسول الله ، ﷺ ، إلى صدره وقال: «**اللهم علِّمه الحكمة**»[٢٢] رواه البخاري.

قال البخاري: الحكمة: الإصابة في غير النبوة.

قال ابن حجر: واختلف المراد بالحكمة هنا.

فقيل: الإصابة في القول.

وقيل: الفهم عن الله.

وقيل: ما يشهد العقل بصحته.

وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس.

وقيل: سرعة الجواب بالصواب.

ومنهم من فسر الحكمة هنا بالقرآن[٢٣].

٢ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ، ﷺ ، قال: «**فُرِجَ عن سَقْفِ بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فَفَرِجَ صدري ثم غسلَه بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه**». رواه البخاري[٢٤].

---

(٢٢) البخاري (٣٧٥٦).

(٢٣) انظر: فتح الباري ٧/١٠٠ والحكمة في الدعوة إلى الله ص٢٣.

(٢٤) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

٣ ـ وعن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «**لا حَسَد إلّا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هَلَكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلّمها**»[٢٥]. رواه البخاري.

والحكمة هنا فسّرت بالقرآن، كما وردت في حديث آخر[٢٦].

٤ ـ وعن أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، ﷺ، قال: «**إن من الشعر حكمة**»[٢٧]. حديث صحيح.

قال ابن حجر: إن من الشعر حكمة، أي: قولاً صادقًا مطابقًا للحق.

وقيل: أصل الحكمة: المنع، فالمعنى: إن من الشعر كلامًا نافعًا يمنع من السَّفه[٢٨].

٥ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «**أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وألين قلوبًا، الإيمان يمانٍ، والحكمة يمانية**». حديث صحيح[٢٩].

قال ابن الصلاح: إنّ المراد بالحكمة: العلم المشتمل على

---

(٢٥) البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٢٦) انظر: فتح الباري ١/١٦٧.

(٢٧) انظر: فتح الباري ١٠/٥٤٠، والحكمة في الدعوة إلى الله ص٢٤.

(٢٨) البخاري (٦١٤٥).

(٢٩) البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢).

المعرفة بالله[٣٠].

ومعاني الحكمة في هذه الأحاديث قريب من المعاني التي ذكرتها عند بيان الحكمة في كتاب الله.

ولعل مما يجدر ذكره هنا أنّ هناك بعض الأحاديث المشتهرة على الألسنة في الحكمة مع أن أسانيدها ضعيفة، مع الإشارة إلى جودة معناها، وأنها لا تخرج عن كونها حِكَمًا، إذا لم يثبت صحة نسبتها إلى رسول الله، ﷺ، ومنها:

١ - **«إذا رأيتم الرجل قد أُعطي زهدًا في الدنيا وقلة منطق، فاقتربوا منه، فإنه يلقّن الحكمة»**. رواه أبو هريرة، وروي عن أبي خلّاد، وهو ضعيف[٣١].

٢ - **«الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها»**. وفي لفظ: **«حيث وجدها جذبها»**. وهو مروي عن أبي هريرة وعلي، وهو ضعيف جدًّا[٣٢].

٣ - **«ومن أخلص لله أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه»**. روي عن أبي أيوب، وهو ضعيف[٣٣].

---

(٣٠) فتح الباري ٦/٥٣٢، والحكمة في الدعوة إلى الله ص٢٤.

(٣١) انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (٥٠٨).

(٣٢) انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (٤٣٠٢).

(٣٣) انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (٥٣٦٩).

٤ ـ «الطمع يذهب الحكمة من قلوب العلماء» روي عن أنس، وهو موضوع[٣٤].

٥ ـ «قلب ليس فيه حكمة كبيتٍ خَرب». روي عن ابن عمر، وهو ضعيف[٣٥].

٦ ـ «رأس الحكمة مخافة الله» روي عن ابن مسعود، وهو ضعيف[٣٦].

٧ ـ الرفق رأس الحكمة». روي عن جرير، وهو ضعيف[٣٧].

٨ ـ الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها في العزلة، وواحد في الصمت». رواه أبو هريرة، وهو حديث ضعيف جدًّا[٣٨].

٩ ـ «الحكمة تزيد الشريف شرفًا، وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك». روي عن أنس، وهو ضعيف[٣٩].

١٠ ـ «أنا دار الحكمة، وعَلِيٌّ بابها». روي عن علي، وهو موضوع[٤٠].

(٣٤) انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (٣٦٥٩).
(٣٥) انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (٤١٠٧).
(٣٦) انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (٣٠٦٦).
(٣٧) انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (٣١٥٩).
(٣٨) انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (٢٧٨٧).
(٣٩) انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (٢٧٨٦).
(٤٠) انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (١٣١٣).

الحكمة كما عرفها بعض العلماء:

هناك عدة تعريفات أخرى للحكمة وهي لا تخرج عن معنى التعريفات السابقة، ولكن ذكرها يزيد الأمر وضوحًا، **ومن ذلك**:

١ - **قيل**: **هي** وضع الشيء في موضعه[٤١].

٢ - **وقال ابن القيم**: وأحسن ما قيل في الحكمة **قول مجاهد ومالك**، إنها: معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلّا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان[٤٢].

٣ - **وقال رشيد رضا**: الحكمة: العلم الصحيح، الذي يبعث الإرادة إلى العمل النافع الذي هو الخير[٤٣].

٤ - **قال الرازي**: حكم الحكمة والعقل، هو الحكم الصادق المبرأ من الزيغ والخلل، وحكم الحسن والشّهوة والنفس تُوقع الإنسان في البلاء والمحنة[٤٤].

وأخيراً: لعلّ خير خلاصة تجمع أغلب هذه المعاني التي وردت في الحكمة هي أنها: «**فعل**[٤٥] **ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في**

---

(٤١) معجم لغة الفقهاء ص١٨٤، والحكمة في الدعوة إلى الله ص٢٩.

(٤٢) التفسير القيم ص٢٢٦.

(٤٣) المنار ٣/٧٧.

(٤٤) تفسير الرازي ٧/٦٧.

(٤٥) والقول فعل.

الوقت الذي ينبغي»[٤٦].

ولنأخذ، مثلاً، يوضح ذلك:

الأمر بالصلاة، **مما ينبغي**، والأمر بشرب الخمر، **لا ينبغي**.

وعلى الوجه الذي ينبغي، فقد يكون ـ الأمر بالصلاة ـ تذكيرًا، أو أمرًا، أو ضربًا حسب الأحوال[٤٧].

وفي الوقت الذي ينبغي، وذلك بمراعاة الزمان والمكان، وهذا له عدة صور وأحوال تجب مراعاتها.

أقسام الحكمة:

قال ابن القيم: والحكمة، حكمتان: علمية، وعملية. فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا. والعملية، كما قال صاحب المنازل: وضع الشيء في موضعه.

قال: وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقّه، ولا تعدّيه حدّه، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه.

---

(٤٦) مدارج السالكين ٢/ ٤٧٩.

(٤٧) فأمر ابن سبع ليس كأمر ابن عشر، ولا كأمر ابن عشرين، وأمر الابن ليس كأمر الجار أو غيره، فلكل مقام مقال.

الدرجة الثـانيـة: أن تشهـد نظر الله في وعـده، وتعرف عدله في حكمه، وتلحظ برّه في منعه. ومن معاني هذه الدرجة قول أهل الإثبات والسنة: إنها ـ أي الحكمة ـ الغايات المحمودة المطلوبة له ـ سبـحانه ـ بخلقه وأمره، التي أمر لأجلها، وقدّر وخلَقَ لَأجلها.

الدرجة الثـالثـة: أن تبلغ في استـدلالـك البصـيرة، وفي إرشادك الحقيقـة، وفي إشاراتك الغاية. قال ابن القيم: يريد أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم، وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيهـا إلى القلب كنسبـة المـرئي إلى البصر، وهـذه هي الخصيصة التي اختُص بها الصحابة على سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء(٤٨).

---

(٤٨) انظر: مدارج السالكين، منزلة الحكمة ٢/٤٧٨.

أمثلة من الحكمة في القرآن الكريم

القرآن كله حكمة، ﴿تلك آياتُ الكتابِ الحكيمِ﴾. (يونس، الآية: ١). ﴿كتابٌ أُحكمتْ آياتُهُ﴾. (هود، الآية: ١). ولِمَ لا يكون كذلك، وهو ﴿لا يأتيه الباطلُ من بين يَدَيْهِ ولا من خلفِهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ﴾. (فصلت، الآية: ٤٢).

ولأن موضوعنا مستمد من كتاب الله، ومعالجتي له في ضوء القرآن الكريم، فسأذكر بعض الأمثلة التي تبين منهج الحكمة كما يعرضها القرآن من خلال بعض الوقائع والأحداث.

أولا: قصة أصحاب الكهف:

إن قصة أصحاب الكهف ـ كما ذكرها الله ـ قصة عجيبة، ولن نقف عند تفصيل القصة، ولكن أشير إلى موضع الحكمة في تصرّف هؤلاء الفتية، وقدرتهم على تجاوز المحنة التي مرّوا بها.

فقد ذكر ابن كثير[٤٩] نقلاً عن غير واحد من السلف والخلف أن هؤلاء الفتية كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وقد فارقوا قومهم لـمّا رأوا ما هم عليه من عبادة غير الله، حيث كانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها، ولهم مَلِك جبار عنيد، فاتفقت كلمة هؤلاء الفتية على اعتزال قومهم، واتخاذ مكان يعبدون الله

(٤٩) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٧٤.

فيه، فعرف بهم قومُهم، فوشَوْا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه، فسألهم عن أمرهم، وما هم عليه، فأجابوه بالحق، ودعوه إلى الله ـ عز وجل ـ، وهذا معنى قوله ـ تعالى ـ **﴿وَرَبْطنَا على قلوبهم إذ قامُوا فقالُوا ربّنَا ربّ السموات والأرض لن نَدْعُوَ من دونِهِ إلـهًا لقد قلنا إذًا شَططًا﴾**. (الكهف، الآية: ١٤). ولكن ملكهم أبى دعوتهم وتهددهم وتوعدهم إن لم يرجعوا إلى دين قومهم، وأعطاهم مهلة لينظروا في أمرهم، وبعد ذلك اجتمعوا وقرروا الفرار بدينهم مرة أخرى إلى مكان آخر، وهو الكهف الذي لجؤوا إليه، وذكر الله لنا تفاصيل قصتهم في، الكهف.

وتظهر الحكمة في قصتهم بما يلي:

١ ـ **أن هدايتهم إلى دين الله**، وعدم تقليد قومهم على ما هم عليه هو عين الحكمة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٢ ـ **اعتزالهم لقومهم**، بعد أن أدركوا أنه لا ينفع معهم نصح ولا دعوة، وهذه هي العزلة المشروعة، وبخاصة عند وقوع الفتن أو الخشية منها، وهذا مصداق الحديث الصحيح: **«يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»**.

٣ ـ **صمودهم على الحق عند مواجهتهم للباطل.**

٤ ـ **العزلة الثانية**، وهي عزلة سريّة، **لأن العزلة الأولى** كانت

عزلة دون تَخَفٍّ، حيث علم بهم قومهم، وعلموا ما هم عليه.

أما هذه العزلة، فكانت عزلة سرية، لا يعْلَمُ مكانهم، لما قد يترتب على ذلك من مفاسد. **﴿إنهم إنْ يَظْهَرُوا عليكم يَرْجُمُوكُم أو يُعِيدُوكم في مِلَّتهم ولن تُفْلِحُوا إذًا أبدًا﴾**. (الكهف، الآية: ٢٠).

وكأنهم يشيرون إلى العزلة الأولى، ثم الفرصة التي أعطيت لهم، حيث علموا أن الفرصة لن تتكرر.

٥ - حكمتهم في قضاء حوائجهم، ﴿فابعثوا أحدَكم بوَرِقكُم هذه إلى المدينة فلينظر أيُّها أزكى طعامًا فليأتِكُم برزقٍ منه وليتلطفْ ولا يُشعِرَنّ بكم أحدًا﴾. (الكهف، الآية: ١٩).

إن هذه القصة، قصة عجيبة، فيها الحكمة، والعبرة، وبيان منهج الدعوة، وحسن استخدام الوسائل، وتقدير المصالح والمفاسد، ومعرفة ماآلت إليه الأمور، إلى غير ذلك من الدروس والعبر.

ثانيا: قصة سليمان وملكة سبأ:

وهي قصة طويلة ذكرها الله في سورة النمل، وقد فصّل المفسرون فيها، وذكروا فيها عددًا من الروايات، ولم تخلُ من الإسرائيليات[٥٠]، وسأقتصر على النص القرآني للوقوف عند

---

(٥٠) انظر: تفسير سورة النمل في تفسير الطبري، والبغوي، وابن كثير وغيرها.

بعض هذه المواقف التي نلتمس فيها الحكمة في التصرف واتخاذ القرار.

١ ـ **وأول موقف نراه هو عنـاية سليمان برعيتـه، وتفقـده** لأحوالهم. **﴿وتفقد الطيرَ فقال ما لِيَ لا أرى الهُدَهُدَ أم كان من الغائبين﴾**. (النمل، الآية: ٢٠).

٢ ـ **وسليمان ـ عليه السلام ـ لا يتعجل بالحكم على غياب** الهدهد، حيث وضع الاحتمال الأول بالسؤال عن سبب عدم رؤيته، **﴿ما لي لا أرى الهدهد﴾**؟ (النمل، الآية: ٢٠). فقد يكون موجودًا، ولكن سليمان لم يره لسبب من الأسباب، أم أنه كان من الغائبين!!.

إنه منهج للتثبت وعدم العجلة، قبل اتخاذ القرار.

٣ ـ **وعندما تأكد لسليمان** ـ عليه السلام ـ أنه كان غائبًا **أصدر القرار العادل**:

العذاب الشديد، أو: الذبح، أو: البراءة، وهي التي تنجيه من إحدى هاتين العقوبتين ـ إن جاء بسلطان مبين ـ فسليمان ـ عليه السلام ـ لم يغتر بملكه وقوته وقدرته ليتسلط على هذا المخلوق الضعيف، لأنه يعلم قدرة الله عليه.

وقد كان احتياط سليمان ـ عليه السلام ـ سليمًا، ووضعه للاحتمالات كان صائبًا، فقد ثبتت براءة الهدهد، فقد جاء

بسلطان مبين، ﴿أحطْتُ بما لم تُحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾. (النمل، الآية: ٢٢).

إنه منهج للعدل، يرسمه سليمان ـ عليه السلام ـ وأسلوب في القيادة يندر له المثيل.

٤ ـ **يسمع سليمان ـ عليه السلام ـ خبر سبأ كما حكاه الهدهد**، والخبر في غاية الأهمية، بل إنه خبر يزلزل الجبال، ملك قوي، وعرش عظيم، ويعبدون غير الله، كل هذا وهم في جوار سليمان، فقد يهددون ملكه ذات يوم[٥١]، ومع هذا فلا يتعجل ـ عليه السلام ـ **ويلتزم منهج التثبت**، مع أنه يعلم أن الهدهد أقل من أن يكذب عليه[٥٢]، وبخاصة أن الهدهد بحاجة إلى براءة ساحته بعد تخلّفه وغيابه، فمن المستبعد أن يضيف إلى ذلك جريمة لا تُغتفر، فإذا كانت عقوبة الغياب بدون إذن هو العذاب أو القتل، فماذا ستكون عقوبة الكذب؟! والهدهد يعلم أن سليمان لا يخفى عليه الكذب، ومع أن كل الدلائل تشير إلى صدق الهدهد، وبعده عن الكذب فإن سليمان ـ عليه السلام ـ لا تأخذه العاطفة، ويظل ملتزمًا بمنهج التثبت، ﴿قال سننظر أصدقتَ أم كنت من الكاذبين﴾. (النمل، الآية: ٢٧). وهذا عين الحكمة وأساسها.

---

(٥١) وأصل المشكلة في عبادتهم لغير الله، وتأثير ذلك على غيرهم.

(٥٢) ولا يعني هذا أن الهدهد يكذب على غيره، ولكن يعد كذبة على سليمان أشد.

٥ ـ ويكتب سليمان ـ عليه السلام ـ الرسالة، وأي رسالة، وبأي أسلوب، حتى مع أعدائه، وهم مشركون ـ أيضا ـ، إنه أسلوب رائع حكيم، يقتحم شغاف القلوب ويسيطر عليها، مع الإيجاز والقوة والبيان ﴿إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم ألّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين﴾. (النمل، الآيتان: ٣٠، ٣١)

٦ ـ وعندما يسمع المرء خبر الهدهد، وأن هؤلاء القوم قد ولّوا امرأة يتملكه العجب! أليس فيهم رجال؟!! ولكن عندما يرى كيف كانت هذه المرأة تقود قومها؟! وحنكتها، وسياستها، وحكمتها، لا يستغرب ذلك، ويدرك سرّ هذا الاختيار(٥٣)، ولننظر إلى شيء من حكمتها في قيادة قومها.

(أ) فهي أولاً تلتزم بالشورى منهجًا وسلوكًا، ولا تقطع أمرًا دون عقلاء قومها، وهم مَلَؤها.

(ب) عندما فوّضها قومها باتخاذ القرار المناسب، كانت حكيمة وعاقلة فلم تستخف بقوة سليمان، ولم يدخلها الغرور بقول قومها: ﴿نحن أُولوُ قوّةٍ وأولُواْ بأسٍ شديد والأمرُ إليك فانظري ماذا تأْمُرين﴾، (النمل، الآية: ٣٣). بل كان رأيها الصائب وموقفها الحكيم، ﴿إنّ الملوكَ إذا دخلُوا قريةً أفسدوها وجعلُوا أعزَّةَ أهلها

(٥٣) وتولية المرأة الامامة العظمى غير جائز عند جماهير العلماء وهو الراجح، ولكن هؤلاء القوم كفار، وليس بعد الكفر ذنب.

أذِلَّةً وكـذلك يَفعلوُن﴾. (النمل، الآية: ٣٤). ولهذا كان لابد من اتخاذ خطوة عملية تكشف حقيقة عدوّها قبل الدخول في معركة قد تكـون خاسرة، **﴿وإنّي مُرسلة إليهم بهديّـة فنـاظـرةٌ بمَ يَرجـع المرسَلون﴾**. (النمل، الآية: ٣٥).

ولهذا فقد وصف الحسن ـ رحمه الله ـ هذه المرأة، **قائلاً**: كانت هي أحزم رأيًا منهم، وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا قِبَل لها بجيوشه وجنوده(٥٤).

٧ ـ ونستمـــر مع هذه التصرفــات الحكيمـــة، والقـرارات الصــائبـة، حيث جاء جواب سليمان على رسـالتهـا ـ الهـدية ـ **﴿أتُمِــدّونَن بمالٍ فما آتَــاني الله خيرٌ ممّا آتـاكُم بل أنتم بهديّتكم تَفرْحون، ارجِعْ إليهم فَلَنأتينّهم بجنُودٍ لا قِبَل لهم بها ولنُخرجَنّهم منها أذِلَّةً وهم صاغرون﴾**. (النمل، الآيتان: ٣٦، ٣٧).

قارنـوا بين **الـرسالة الأولى** في رقتها ولينها وقوتها، **وبين هذه الرسالة** في صرامتها وحزمها وبلاغة أسلوبها، وهذه هي الحكمة، **«وضــع الشيء في موضعــه»** فالبـداية كانت تقتضي مثـل تلك الرسالة، والنهاية تقتضي هذه الرسالة، ولقد فعل سليمان ـ عليه السلام ـ ما ينبغي، كما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، ولا غرو فقد آتاه الله الملك والحكمة، كما آتى أباه ـ عليهما السلام ـ.

---

(٥٤) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٣٦٢.

٨ ـ وأخيراً تتخذ هذه المرأة القرار الحاسم، الحكيم، الذي يعجز عن اتخاذه كثير من الرجال بسبب الهوى، والتعصب، والتقليد، إنه قرار الاستجابة لسليمان ـ عليه السلام ـ ودعوته، طائعة مختارة.

٩ ـ أما غاية الحكمة وذروتها، فهو موقف سليمان ـ عليه السلام ـ مما حدث، فهل دَاخَلَه العجب والغرور، أو نسب الفضل لنفسه؟ حاشاه من ذلك، بل قال: ﴿هذا من فضل ربّي لِيَبْلُوَني أأشكرُ أم أكفرُ ومن شكرَ فإنّما يشكرُ لنفسه ومن كفرَ فإنّ ربّي غَنيٌّ كريمٌ﴾. (النمل، الآية: ٤٠).

ما أحوجنا إلى تأمل هذه القصة! والإفادة مما فيها، بجميع أطرافها: سليمان ـ عليه السلام ـ، ملكة سبأ، الهدهد.

إن إبراز مواطن الحكمة في هذه القصة تبرز من خلال ما يلي:

١ ـ العدل.

٢ ـ التثبت.

٣ ـ بُعد الرؤية وسعة الأفق.

٤ ـ إتقان قاعدة المصالح والمفاسد.

٥ ـ القوة بدون عنف، واللين بدون ضعف.

٦ ـ أداء المسئولية على وجهها.

٧ ـ الشورى.

٨ ـ نسبة الفضل لأهله.

٩ ـ التنبّه والحذر من الاستدراج.

١٠ ـ القوة في اتخاذ القرار في الوقت المناسب.

ثالثا: قصة لقمان وابنه:

شهد الله بحكمة لقمان ـ عليه السلام ـ مع أن القول الراجح أنه ليس نبيًّا(٥٥).

وقد ورد في حكمة لقمان، آثار كثيرة، ذكرها المفسرون، ومنها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف، ولكنني سأقف مع ما نلمسه من حكمة في القصة التي ذكرها القرآن حين **وصّى لقمان ابنه**:

١ ـ **وأول ما يشدنا في هذه القصة حسن الأسلوب** الذي يستخدمه لقمان أثناء دعوته لابنه، حتى إنه يخاطبه بأحب الألقاب إليه، وأقربها إلى نفسه «**يا بني**» وبهذا يتمكن من السيطرة على قلبه وعقله، وذلك أدعى لقبول النصح والوعظ، وأن مبعثه الحب والشفقة والقربى.

٢ ـ **أن لقمان جمع في وعظه لابنه** بين الأصول والفروع، والأقوال، والأفعال، والاعتقاد، والأمر، والنهي. فها هو ينهاه عن الشرك، ثم يأمره بالصلاة، ويذكّره بعدل الله، وشمول علمه وإحاطته، ثم نجده يأمره بأن يقوم بشعيرة الأمر بالمعروف، والنهي

---

(٥٥) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٤٣، وتفسير القاسمي ١٣/٤٧٩٦.

عن المنكر، وينهاه عن الكِبْر، والخيلاء، والعجب، والغرور.

حتى مِشيته يبينّ له كيف تكون، وصوته له ضوابط وموازين.

٣ - أن وصايا لقمان لابنه بلغت عشرًا بين أمر، ونهي، وإخبار، في معنى الأمر أو النهي، كل هذا في كلمات قصيرة جميلة بعيدة عن التكلّف، وهذا من الحكمة، ولهذا جاءت الحكم والأمثال من كلمات قصيرة المبنى كبيرة المعنى، وهذا مانلمسه في وصية لقمان لابنه.

٤ - أن الداعية يخرج من قصة لقمان بعدة دروس أهمها:

(ا) **حسن الأسلوب**، واختيار أفضل الكلمات للوصول إلى قلوب المدعوين.

(ب) **التركيز على الأصول من التوحيد** وغيره، مع عدم الإخلال بالفروع.

(جـ) **الإيجاز مع التركيز والشمول.**

(د) **أنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**، ليس بالأمر الهينّ واليسير، ولذا يخشى على صاحبه من المزالق، ويستطيع الداعية أن يتخلص من ذلك بالصبر، والتواضع، والتزام منهج الوسطية في أموره كلها.

وبعد:

فهذه وقفة سريعة مع هذه القصة العظيمة التي تنبض حكمة وعلمًا وفقهًا **﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾**. [البقرة، الآية: ٢٦٩].

أمثلة من الحكمة في السنة النبوية

تجري الحكمة على لسان رسول الله، ﷺ، كالماء الزُّلال، وأفعاله، ﷺ، كلها عين الحكمة، فهو المعصوم من الزَّلل والخطأ.

وسأختار بعض الأمثلة، لبيان الحكمة في السنة، مكتفيًا من القلادة بما أحاط بالعنق:

١ - **فنجد حكمته**، ﷺ، في حسن تعامله مع أصحابه ومراعاته لأحوالهم، وهذا أكثر من أن يُحصَى، وأشهر من أن يُؤتى له بمثال.

٢ - **إجابة الرسول**، ﷺ، **للسائلين**، حيث قد يبدو الخلاف والتعارض - أحيانًا - بينها، بينما هي من اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، وذلك لحكمة عظيمة، وهي مراعاة حال السائلين، **ولنأخذ هذا المثال**:

(ا) سأل عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - رسول الله، ﷺ، قائلاً: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة على ميقاتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**بِرٌ الوالدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، فسكتُّ عن رسول الله، ولو استزدته لزادني. رواه البخاري[٥٦].

---

(٥٦) رواه البخاري (٢٧٨٢).

(ب) وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: «**لكن أفضل الجهاد حجٌّ مبرورٌ**». رواه البخاري[٥٧].

(جـ) وعن عبدالله بن بُسر ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً، قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**». رواه أحمد والترمذي[٥٨].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي سأل أصحابها عن أفضل العمل، فاختلفت إجابة رسول الله، ﷺ، مراعاة لحال السائلين، وإدراكًا منه، ﷺ، أن ما يستطيعه هذا قد لا يستطيعه ذاك، إلى غير ذلك من الأسباب التي يراعى فيها حال الفرد وحاجة الأمة وقواعد الشرع.

ولو أن الدعاة استطاعوا أن يكلفوا كل إنسان بما يحسنه[٥٩]، ويبتعد عمّا لا يستطيع، لحققت الأمة اكتفاء ذاتيًّا في أغلب مجالاتها.

---

(٥٧) رواه البخاري (٢٧٨٤).

(٥٨) أحمد (٤/١٩٤)، صحيح الترمذي للألباني (٣/١٣٩) وانظر: الحكمة في الدعوة إلى الله ص٤٧.

(٥٩) عدا الواجبات وفروض العين.

ولكن واقع أغلب الناس، كما قال الشاعر:

ومكلِّف الأشياء فوق طباعها
متطلِّبٌ في الماء جذوة نارِ

٣ ـ وانظر إلى هذا الأسلوب الحكيم من لدنه، ﷺ، لمعالجة قضية مهمة تحتاج إلى الحكمة، وبُعد النظر.

عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: إن فتى شابًّا أتى إلى النبي، ﷺ، فقال: «يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: **أتحبّه لأمّك؟** قال: لا والله!!ـ جعلني الله فداك ـ قال: **ولا الناس يُحبونه لأمهاتهم**، قال: **أفتحبه لابنتك؟** قال: لا والله!! يا رسول الله ـ جعلني الله فداك ـ قال: **ولا الناس يُحبونه لبناتهم**، قال: **أفتحبه لأختك؟** قال: لا والله!! ـ جعلني الله فداك ـ قال: **ولا الناس يُحبونه لأخواتهم**، قال: **أفتحبه لعمتك؟** قال: لا والله!! ـ جعلني الله فداك ـ قال: **ولا الناس يحبونه لعماتهم**، قال: **أفتحبه لخالتك؟** قال: لا والله!! ـ جعلني الله فداك ـ، قال: **ولا الناس يحبونه لخالاتهم**.

قال: فوضع يده عليه، وقال: **اللهم اغفر ذنبه وطهّر قلبه، وحصّن فرجه**.

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء». رواه أحمد[٦٠].

أرأيتم مثل هذا الأسلوب، كيف جاء هذا الشاب وقد هاجت شهوته، ورغب في الحرام، وعاد عفيفًا محصنًا بعيدًا عن الشهوة والشبهة.

٤ - ولعل من أهم الأمثلة في هذا المجال، قصة الحديبية، وما وقع فيها من أحداث كانت تقتضي الحكمة في أسمى معانيها، وإلاّ لحدثت أمور لا تُحمد عقباها.

ويصعب التفصيل في ذلك، حيث لا يتسع المجال له - حسب المنهج الذي رسمته - ولكن سأقتصر على قضية واحدة لتكون لنا عبرة ونبراسًا، وتلك القضية هي كتابة الصلح، ولنقرأ كما في صحيح البخاري، وفيه:

«فدعا النبي ، ﷺ ، الكاتب، فقال النبي ، ﷺ : اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: أمّا الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ، ﷺ : اكتب: باسمك اللهم.

ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا

---

(٦٠) مسند الإمام أحمد ٥/٢٥٦، وقد صححه الألباني.

قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبدالله، فقال النبي، ﷺ: **والله إني لرسـول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبدالله**... الحديث[٦١]

إن التـأمـل في هذه الحادثة العظيمة، يبيّن لنا مقدار حكمة رسول الله، ﷺ، وعدم استجابته للاستفزاز، أو الوقوف عند أمر فيه سعة مع أنه يحقق للمسلمين مكاسب باهرة، **وهذا من باب النظر في المصلحتين** والسعي لتحصيل أعلاهما، ولذلك جاءت النتيجـة بتسمية الله لهذا الصلح فتحـا، **﴿إنّـا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾**. (الفتح، الآية: ١).

وقادة الدعوة بحاجة إلى وعي هذه الدروس، وعدم الاستجابة لضغط القاعدة إذا كان خلاف الحق، أو أن هناك ما هو أولى مما يريده هؤلاء.

﴿ومن يُؤْتَ الحكمة فقد أُوتِيَ خيرًا كثيرًا﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩).

* **ولئلا يتوهّم متوهِّم أن الحكمة تقتضي التنازل دائمًا** إذا كان الأمر في مصلحة الإسلام والمسلمين، كما هو واقع بعض العاملين للإسـلام، والمتحمسـين للدعوة، ممن ينقصهم العلم الشرعي، وهـذا خلل في المنهـج، وخطأ في التصرف، وبخاصة أن هؤلاء يحتجّون دائمًا بقصة الحديبية، عند كل تنازل يقدمونه.

---

(٦١) صحيح البخاري ٣/١٠٠.

من أجل هذا أُبيِّن أن هناك قضايا لا تقبل التنازل أبدًا، وهذه هي الحكمة، وهذا كثير جدًّا في كتاب الله، وسنة رسوله، ﷺ، وفعل الخلفاء الراشدين، ومن ذلك سبب نزول سورة (الكافرون) ﴿قل يا أيّها الكافِرُونَ. لا أعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ﴾. (الآيتان: ١، ٢).

* وكذلك قصة قريشٍ مع رسول الله، عندما طلبوا أن يخصص لهم مجلسًا دون الضَّعَفة من المسلمين، فنزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا تَطْرُد الذين يَدعون ربهم بالغَداةِ والعشيّ يُريدون وجهه﴾. (الأنعام، الآية: ٥٢). وقوله: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِ يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تُريد زينةَ الحياة الدنيا ولا تُطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبعَ هواه وكان أمره فُرُطًا﴾. (الكهف، الآية: ٢٨).

وكذلك عندما جاء وفد ثقيف إلى رسول الله، ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام، اشترطوا أن يدع لهم اللات ثلاث سنين ـ لا يهدمها ـ فأبى رسول الله، ﷺ، ذلك، حتى إنهم تنازلوا شيئًا فشيئًا إلى أن طلبوا إمهال هدمها شهرًا واحدًا، فأبى رسول الله، ﷺ.

ولكنهم عندما طلبوا ألا يكسّروا أوثانهم بأيديهم، وافقهم على ذلك رسول الله، ﷺ، للفرق بين الطلبين، وهنا يتميز الحكيم

عن غيره، وهو الذي يتنازل عن الكل أو يرفض الكل مع الفرق بينهما[٦٢].

* أما أبو بكر وقصته في حرب الردة، وعدم تنازله عن شعيرة من شعائر الإسلام، وقوله كلمته الخالدة: «**والله لو منعوني عَنَاقًا - أو عقالاً - كانوا يؤدونها إلى رسول الله، ﷺ، لقاتلتهم عليها**».

وحيث يبيّن أنه سيسوي بين من ترك الصلاة، ومنع الزكاة، ولن يقبل التفريق بينهما، والقصة مفصلة في كتب الحديث والسيرة[٦٣].

وهذه هي الحكمة كما عرفناها، هذا ما شهد به عمر الفاروق حيث كان مخالفًا لأبي بكر في أوّل الأمر، ثم عرف أنه الحق لـمّا شرح الله صدر أبي بكر وثبت عليه.

٥ - **أمّا أعظم أمر رأيت الحكمة** متمثلة فيه من خلال منهج القرآن الكريم، وسنة الرسول، ﷺ، فهو معالجة **قضية المنافقين**، وهو العلاج الذي استمر منذ هجرته، ﷺ، إلى المدينة وحتى غزوة تبوك، بل إلى وفاته، ﷺ.

وكما شغل حيزًا كبيرًا من وقته، ﷺ، في المدينة، فقد نزلت فيها

---

(٦٢) انظر: سيرة ابن هشام ٤/١٩٧ وتخريج العلماء للأثر في كتاب الحكمة في الدعوة إلى الله ص٧٤ وقد ضعفه الألباني في فقه السيرة وحسنه غيره.

(٦٣) انظر: فتح الباري ٣/٣٦٢ كتاب الزكاة.

آيات كثيرة جدًّا في كتاب الله، حتى نزلت سورة كاملة في هذا الموضوع.

وقد اتسم علاج هذه المشكلة بعدة سمات، من أبرزها:

١ ـ **طول المدة**، وهي ما بين هجرته إلى قُبيل وفاته، ﷺ.

وهذا يدل على الصبر العظيم، الذي تحلّى به رسول الله، ﷺ، وهو يعالج هذه المشكلة العويصة بتؤدة وروية.

٢ ـ **الآيات الكثيرة التي نزلت في القضية**، حيث لا يقاربها قضية أخرى إلا قضية الشرك والمشركين، وقضية أهل الكتاب.

والله ـ سبحانه ـ قادر على حسمها في آية واحدة، ولكن القرآن جاء ليرسم منهجًا للبشر فيه صفة الشمول والديمومة، لأنه دين عالمي.

٣ ـ **الحرص على وحدة الصف**، مع عدم السكوت عن الباطل، وإقراره، أو هذه مسألة يغفل عنها كثير من الدعاة، وقد تحقق الأمران، فبقي الصف المسلم موحّدًا، وتم القضاء على فتنة المنافقين بأساليب عدة.

٤ ـ **أخْذ الناس بظواهرهم، وترك سرائرهم إلى الله**، وهو منهج فريد تميز به الإسلام عن سائر النظم والأديان، ومع أن المنافقين أشدّ كفرًا من المشركين فلم يؤاخَذوا إلا بما ظهر منهم، مع

علم الرسول، ﷺ، بما هم عليه من النفاق والكفر.

ولكن القضية قضية منهج، وليست قضية أفراد يتم القضاء عليهم، ثم ينتهي الأمر، لأن المسألة أعمق من ذلك وأبعد، فجاء العلاج متوازيًا مع حجم المشكلة وأبعادها وآثارها.

٥ ـ المحافظة على هيبة المجتمع المسلم في نظر الأعداء والخصوم، «**لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**»[٦٤] وبخاصة مع كثرة الأعداء، واستغلالهم لكل فرصة تسنح لهم داخل الصف.

٦ ـ تركيز القرآن على الصفات وعدم ذكر الأفراد، حيث لم يرد في القرآن اسم منافق واحد.

وهذا المنهج حقق آثارًا إيجابية ضخمة، وكان كفيلاً بالقضاء على هذه الحركة مع تجاوز السلبيات المتوقعة، ولهذا قال الرسول، ﷺ، في نهاية المطاف ردًّا على عمر ـ الفاروق ـ الذي طالما طالب بقتل المنافقين حميّة لدين الله: «**أين عمر؟ لو قتلنا هؤلاء يوم طلب عمر لأرعدت لهم أنوف تريد اليوم قتلهم**»[٦٥]. وهذا المنهج هو الذي أدى إلى قتلهم معنويًّا، دون الحاجة إلى قتل أي فرد منهم حسّيًّا.

---

(٦٤) رواه البخاري ٤/ ١٦٠.

(٦٥) انظر: تفسير الطبري ٢٨/ ٧٦، وسيرة ابن هشام ٣/٣٢٧.

وهذه ـ والله ـ هي الحكمة في أسمى معانيها.

إننا اليوم في بأمس الحاجة إلى دراسة منهج مواجهة حركة النفاق في الصدر الأول، **ومن ذلك دراسة الآيات** التي نزلت في هذه القضية، وبخاصة في سور (البقرة ـ التوبة ـ الأحزاب ـ المنافقون) **وبهذا نستطيع أن نحقق ما يلي:**

١ ـ **معرفة الوسائل** الموصلة إلى الكشف عن هوية المنافقين في مجتمعنا، ومدى تأثيرهم في المجتمع.

٢ ـ **رسم منهج شرعي** لمواجهة هذه الحركة، وأسلوب التعامل معها.

٣ ـ **شلّ فاعليتها**، ثم القضاء عليها دون إحداث فتن داخل الصف المسلم.

ولن يتحقق هذا الأمر إلا بالالتزام بالحكمة التي رأينا بعض مظاهرها، وسماتها في منهج القرآن، والسنة، عند معالجة هذه القضية الكبرى.

خوارم الحكمة وموانعها

من المهم ونحن نعالج موضوع الحكمة أن نذكر أهم الأسباب التي تمنع من تحقق الحكمة، وتحول دون وجودها.

ولم أجد مَن دوّن هذه الموانع(٦٦) مجتمعة ـ حسب اطلاعي ـ ولكنني بالاستقراء والتتبع حاولت أن أقف على هذه الخوارم، وقد وفقني الله إلى شيء من ذلك، فله الحمد والمنة.

١ ـ الهوى وعدم التجرد:

يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ولا تَتّبع الهوَى فيُضِلَّك عن سبيلِ الله﴾. (ص، الآية: ٢٦). ويقول: ﴿أنما يتّبعون أهواءهم ومن أضل ممّن اتّبع هواه بغير هدى من الله﴾. (القصص، الآية: ٥٠). وقال: ﴿ولو اتّبع الحقُّ أهواءَهم لفسدت السّموات والأرض﴾. (المؤمنون، الآية: ٧١). والآيات في ذمّ الهوى كثيرة جدًّا، وكلها تدل على استحالة اجتماع الحكمة والهوى، وتأمل في هاتين الآيتين ليتضح ما أقول: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم﴾. (المائدة، الآية: ٤٩). والحكم بما أنزل الله هو مقتضى الحكمة(٦٧)،

---

(٦٦) انظر: مدارج السالكين لابن القيم في منزلة الحكمة ٢ / ٤٨٠ فقد ذكر بعضها، كالجهل والطيش.

(٦٧) لأن تعريف الحكمة والعدل متقارب، بل العدل حكمة، والحكمة عدل لأن كلاًّ منهما وضع الشيء في موضعه.

وفي آية أخرى: ﴿**أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن زيّن له سوءَ عمله واتّبعُوا أهواءهم**﴾. (محمد، الآية: ١٤).

وفي حديث الرسول، ﷺ، في بيان وقت العزلة: «**فإذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوًى متّبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك . . .**». الحديث(٦٨).

وهـذا دليـل على فقـدان الحكمـة وذهابها. والحكمة منبعها العقل، بل إن معناهما واشتقاقهما متقارب، فكلاهما يدلان على المنع مما لا ينبغي، **ومن هنا جاء الشاعر** يبين تأثير الهوى على الحكمة:

وآفـة الـعـقـل الهـوى فمـن علا
على هواه عقـله فقـد نجـا

والهوى يعمي، ويصمّ، كما قال شيخ الإسلام، فمن كانت هذه حاله فأنى له الحكمة.

٢ ـ الجهـل:

والجهل ضد العلم، وما وجد الجهل في شيء إلا شانه، وما نُزع من شيء إلا زانه، والتأمل في هذه الآيات يبين تأثير الجهل، وأنه والحكمة لا يجتمعان، حيث ذكر الله ـ سبحانه ـ في أكثر من آية أن

---

(٦٨) ابن ماجة (٤٠١٤).

سبب عدم توفيقهم للحق والحكمة هو الجهل:
﴿قل أفغير الله تَأمُرُونِّي أعبدُ أيّها الجاهِلُون﴾. (الزمر، الآية: ٦٤).
﴿قالوا أتتخِذُنا هُزوًا قال أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين﴾. (البقرة، الآية: ٦٧). ﴿أفحُكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يُوقنون﴾. (المائدة، الآية: ٥٠). ﴿إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين﴾. (هود، الآية: ٤٦). ومن خلال هذه الآيات وأمثالها يتضح لنا تأثير الجهل على الحكمة، وأنه من خوارمها، **ولذا قال الشاعر**:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
وأجسادهم دون القبور قبور

فهل ننتظر الحكمة من الأموات؟

٣ ـ **الأخذ بظواهر النصوص**، وعدم الجمع بين الأدلة.

وذلك كمنهج الظاهرية في الأخذ بظواهر النصوص، ولذا لم يوّفقوا للصواب في كثير من المسائل، وهل الحكمة إلا الإصابة في القول والعمل ـ كما سبق ـ؟

أما عدم الجمع بين الأدلة فهو مزلق آخر من المزالق التي يقع فيها بعض طلاب العلم، فيعتمدون على دليل دون آخر، وهذا يؤدي إلى اتخاذ بعض المواقف بعيدًا عن الحكمة، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعًا، ففطن لشيء، ولكن غابت عنه أشياء.

ومن ذلك الاستدلال بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ألّا تزرُ وازرة وزْرَ أُخرى وأن ليس للإنسان إلا ماسَعَى﴾. (النجم، الآيتان: ٣٨، ٣٩). ويغفل عن الأحاديث التي تبين أن الإنسان قد يكون آثمًا إذا رأى منكرًا عمله غيره فلم يغيّره، إما بيده أو بلسانه أو بقلبه، حسب استطاعته.

وكذلك يغفل عن الأحاديث التي تبين مشاركة المسلم لغيره في الأجر، كما ورد في أحاديث كثيرة. ومنها: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث(١).

ومثل ذلك الاستدلال بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وإذا قُرِىءَ القرآنُ فاستَمِعُوا له وأنصِتُوا لعلكم تُرحمون﴾. (الأعراف، الآية: ٢٠٤). على وجوب الإنصات مطلقًا، ويغفل الأحاديث الواجبة في قراءة الفاتحة في الصلاة حتى مع قراءة الإمام(٧٠).

٤ ـ الاستدلال بالأدلة في غير مواضعها:

وهذا يختلف عن السابق، لأنه استخدام للدليل في غير موضعه، والأمثلة توضح ذلك:

---

(٦٩) مسلم (١٦٣١)، انظر: تفصيل ذلك في تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٧.

(٧٠) والمسألة خلافية، ومحل ذلك كتب الفقه، وإنما المراد التمثيل على استخدام دليل دون آخر.

(ا) **فكم سمعنا من الناس** مَن إذا طُلب منه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. قال: مالي وللناس، فلم أكلَّف بهم، والله يقول: **﴿عليكم أنفسكم لا يضرُكم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾**. (المائدة، الآية: ١٠٥).

وقد روى الإمام أحمد أن أبا بكر الصديق قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾** (المائدة، الآية: ١٠٥). وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله ـ عز وجل ـ أن يعمّهم بعقابه**».

قال ابن كثير: وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة، وابن حِبَّان في صحيحه، وغيرهم من طرق كثيرة، عن جماعة كثيرة، عن إسماعيل بن أبي خالد به متصلاً مرفوعًا، ومنهم من رواه عنه به موقوفًا على الصّدِّيق وقد رجَّح رفعه الدارقطني وغيره[٧١].

(ب) **ومن الاستدلال بالأدلة في غير مواضعها**، استدلال كثير من الناس بقوله ـ تعالى ـ: **﴿ولا تُلْقُوا بأيدِيكُم إلى التَّهلُكَةِ﴾**. (البقرة، الآية: ١٩٥). وبخاصة عند تبرير عدم المشاركة في الجهاد في

(٧١) الترمذي (٣٠٥٩)، أبوداود (٤٣٣٨)، ابن ماجة (٤٠٠٥). قال عنه ابن حجر جيد الاسناد انظر: تهذيب التهذيب.

سبيل الله، ولم يعلموا أن هذا الدليل حجة عليهم لا لهم، ولننظر في هذا الحديث.

روى **الليث بن سعد**، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران، قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله، ﷺ، وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر، اجتمعنا معشر الأنصار تحببًا، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه، ﷺ، ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم فنزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وأنفقوا في سبيلِ الله ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التّهلكة**﴾. (البقرة، الآية: ١٩٥). فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال، وترك الجهاد[٧٢].

والأمثلة في هذا كثيرة جدًّا، والاستدلال بها على هذا الوجه يُخالف الحكمة وينافيها.

---

(٧٢) قال ابن كثير ١ /٢٢٨ : رواه أبو داود والترمذي والنسائي وعبد بن حميد في تفسيره وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه والحافظ أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه كلهم من حديث يزيد بن حبيب، وقال الترمذي حسن صحيح غريب، وقال الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٥ - عدم فهم الدليل.

وذلك بأن يكون الدليل صحيحًا، والاستشهاد به في موضعه، ولكنه لا يفهم الدليل على وجهه الصحيح - وذلك فرع عن الجهل - وهنا يخالف الحكمة في تصرفه، وأسلوب تطبيقه. ومثال ذلك:

أن الرسول، ﷺ، قال: «**مُرُوا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**». (٧٣) الحديث.

فيأتي فيضرب ابنه ضربًا مبرّحًا وغليظًا، وهذا غير مراد من الحديث، وهو يخالف الحكمة، **لأن المراد هو الضرب غير المبرح الموجع**، لأن الطفل لم يكلَّف بعد، فمن كان في سن العاشرة أو الحادية عشرة فلم يبلغ سن التكليف، فكيف نعاقبه عقابًا شديدًا، والمراد هو التربية والتعويد، لا العقاب والتعزير.

وكذلك قوله - تعالى -: ﴿**واللّاتي تَخافون نُشوزَهُنّ فعِظُوهنّ واهجروهُنّ في المَضاجعِ واضربوهُنّ**...﴾. (النساء، الآية: ٣٤).

فيأتي الزوج ولا يفهم معنى هذه الآية ويقول إن الواو لا تقتضي ترتيبًا، ولا تعقيبًا، فيبدأ بالضرب قبل الوعظ والهَجر، ويأتي آخر ويضرب زوجته ضربًا شديدًا مؤلمًا، وكل هذا خلاف الحكمة وناشىء من قصور الفهم.

---

(٧٣) أبوداود (٤٩٦، ٤١١٣)، وأحمد: ٢/١٨٧. قال الارناؤوط في شرح السنة: ٩/٢٢ اسناده حسن.

٦ - قلة التجربة:

ولذا نجد أن بعض تصرفات الشباب تخالف الحكمة لقلة تجربتهم ومحدوديتها وضعفها.

٧ - الفردية:

وهي من خوارم الحكمة الظاهرة، لذا قال الرسول، ﷺ: «**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»(٧٤).

وقال الشاعر:

رأي الجماعة لا تشقى البلادُ به
رغم الخلاف، ورأي الفرد يُشقيها

وسيأتي مزيد بيان لذلك في الحديث عن أركان الحكمة وأسسها.

٨ - عدم تحديد الأهداف.

٩ - النظرة السطحية.

١٠ - آنية التفكير وموسمية العمل والارتجال.

إن هذه العوائق الثلاثة متقاربة في معناها، وحقيقتها، وإن كان كل واحد منها يحمل معنى خاصًّا، ونستطيع أن نقول: إن بينها عموم وخصوص.

---

(٧٤) رواه أبوداود (٥٤٧)، النسائي ٢/١٠٦ وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠١).

فعـدم **تحديد الأهداف** ورسمها بدقة، يؤدي إلى آنيّة التفكير وموسمية العمل، وهذا هو الارتجال بعينه، وهذا الأمر لا ينشأ عادة إلا من النظرة السطحية للأمور، والوقوف عند ظواهر الأحداث، دون النظر في أسبابها، ومآلاتها وآثارها، **والنتيجة الطبيعية لاتخاذ القرار**، والموقف من الحدث، هو عدم تطابق ما يُتخذ من قرار مع ما يستـوجبه الحدث، وبالتالي يجانب الحكمة، لأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه.

وهـذا مثـل طبيب جاءه مريض وقد بدت بعض البثور على وجهه، فقام الطبيب بوصف بعض المراهم التي تزيل البثور دون البحث في تحليل أسباب هذا المرض، والنتيجة هي عودة البثور بين فترة وأخرى، لعدم القضاء على أسبابها.

ومثل ذلك مَن في أسنانه تسوّس، ويشكو من آلامها، فكلما جاء إلى الـطبيب أعـطاه ما يسكن الألم، ويستمـر الألم يعاوده، والطبيب مستمر في وصف المسكنات، دون اتخاذ العلاج الحاسم بإزالة التسوس حتى لو أدى إلى إزالة السن ذاته، لأن بقاء التسوس سيجعله يقضي علي بقية السن، أو قد ينتقل المرض إلى العصب وبقية الأسنان إذا أُهملت الأسباب، وتم تجاهل حقيقة المرض.

ومثل ذلك نقول في الأحداث، وما نواجهه من أمور تحتاج إلى علاج حاسم ذي أهداف محددة.

١١ - **تقديم الجزئيات على الكليات:** وهذا ناشىء، من قصور العلم، وقصر النظر، وهذا الأمر ابتُلينا به كثيرًا في عصرنا الحاضر، وفي بعض دول العالم الإسلامي.

وأدرك أعداء الإسلام هذه الثغرة، فأقاموا بعض شعائر الإسلام الجزئية، وهدموا أصوله وأركانه.

يعاقبون المفطر في رمضان، ولكنهم لا يزيلون مظاهر الشرك، ولا يأمرون بالصلاة، فضلاً عن أن يعاقبوا تاركها.

يقرأون القرآن في الإذاعة، وينقلون خطبة الجمعة في التلفزيون، ولكنهم يتحاكمون إلى شريعة الطاغوت.

ورأينا عددًا من الناس يغضبون إذا رأوا شارب الدخان وهو مُنكَر - ولا شك -، ولكنهم لا يحرّكون ساكنًا عندما يرون الربا، وقد ضرب في الأرض أطنابه، وينفعلون إذا خرجت امرأة سافرة عن وجهها - وهذا محرم بالكتاب والسنة - ولكنهم يتجاهلون دخول اليهود والنصارى والوثنيين إلى بلاد المسلمين، وإقامتهم بين ظهرانيهم.

ولتتضح الصورة أكثر أَضربُ هذا المثال:

مريض أصيب بالزائدة، فذهب إلى المستشفى مسرعًا فأصابته شوكة في أصبعه، فلما وصل انشغل الطبيب بالأصبع وشوكته عن الزائدة التي قد تنفجر بين لحظة وأخرى فتودي بصاحبها.

أين الحكمة في هذا التصرف؟

١٢ - العجلة وعدم ضبط النفس:

العجلة من الشيطان، وإذا ابتُلي إنسان بهذه الخصلة الذميمة، ستقوده إلى المهالك، ومن آثار العجلة ومظاهرها عدم ضبط النفس في المواقف التي تحتاج إلى تأنٍّ، وتؤدة وروية.

وأكثر أسباب الندم ناتج عن العجلة والانفعال غير المنضبط، وهنا تكون النتيجة غير محمودة.

من غرس الحنظل لا يرتجي   أن يجتني السكر من غرسته

١٣ - الخلط في المفاهيم:

الحكيم لا بد أن ينطلق من مفاهيم صحيحة، وقواعد ثابتة، مستمدة من الكتاب والسنة، وإذا اختلطت المفاهيم لدى المرء وتشابهت الأمور، لن يصل إلى مبتغاه، وسيتخبط في سيره، **ومن الملحوظ في عصرنا الحاضر** اختلاط كثير من المفاهيم على كثير من طلاب العلم والدعاة **ومن ذلك**:

(أ) **الخلط في مفهوم خوف الفتنة**، حتى أصبح سيفًا مُصلّتًا على رؤوس الداعين إلى الله، الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، فكلما أمر آمرٌ بمعروف، أو نهى ناهٍ عن منكر، قيل له: إنّك تثير الفتنة، ولم يعلم أولئك أنهم في الفتنة سقطوا، **وكان من نتيجة هذا الأمر**، أن استمرت الأمة تقدم التنازلات الواحد تلو الآخر، وبعض الدعاة ساكتون أو مسكَّتون خوف الفتنة، حتى

ضَرَب الكفر أوتاده في بلاد المسلمين، وهذه هي الفتنة الحقيقية ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله**﴾. (البقرة، الآية: ١٩٣).

(ب) ومن الخلط في المفاهيم، الخلط بين الحزبية والانتماء، حتى سوّى الكثير بينهما، مع الفارق الكبير.

فالحزبية مذمومة، وهو تحزُّب المسلمين بعضهم ضد بعض، فالمسلمون لا يكونون إلا حزبًا واحدًا، ضد الكفر وأهله. ﴿**أولئك حزب الله ألا إنّ حزبَ الله هم المفلحون**﴾. (المجادلة، الآية: ٢٢).

أما الانتماء لأهل السنة والجماعة، ولجماعة المسلمين ومنهجهم فهو مشروع:

﴿**واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا**﴾. (آل عمران، الآية: ١٠٣).

﴿**كنتم خير أمة**﴾. (آل عمران، الآية: ١١٠). ﴿**ولتكن منكم أمة**﴾. (آل عمران، الآية: ١٠٤). **والمذموم** هو الانتماء لأهل الباطل وللأحزاب البدعية، وهذا ليس من الانتماء المشروع في شيء.

ونتيجة للخلط في هذا المفهوم جانبت الحكمة بعض المنتسبين إلى الدعوة، فبدلاً من أن يدعو إلى الوحدة والائتلاف، دعوا إلى الفردية والتفرق، وهم لا يريدون ذلك ـ ولا شك ـ، ولكن من يزرع الشوك لا يقطف العنبا.

(جـ) ومن الأمثلة ـ أيضًا ـ في خلط المفاهيم الخلط بين

الوسائل والغايات، وكذلك الخلط بين الثوابت والمتغيرات.

وكذلك عدم إدراك الفرق بين حب السلف، وفهم منهج السلف، والالتزام بمنهج السلف، فليس حب السلف وحده كافيًا لأن يكون صاحبه ممثلاً لمنهج السلف، فلا بد من:

١ - حب السلف والذود عنهم، وعن منهجهم.

٢ - فهم المنهج، أي منهج أهل السنة والجماعة.

٣ - الالتزام بمنهج السلف، خُلُقًا ودعوة، وسلوكًا، قولاً، وفعلاً.

وأي إخلال بواحد من هذه الأسس يعتبر إخلالاً بانتساب الفرد إلى السلف.

١٤ - عدم إتقان قاعدة المصالح والمفاسد:

وهذا يؤدي إلى تقديم جلب المصلحة على دفع المفسدة، ودفع المفسدة الصغرى بالكبرى، وجلب المصلحة الدنيا، وترك العليا.

وليس الحكيم هو من يعرف الخير والشر، وإنما الحكيم من يعرف خير الخيرين، وشر الشرين.

وهذه القاعدة من أعظم قواعد الشريعة، والجهل بها يجرّ على المسلمين الشرور والويلات.

١٥ - الغفلة عن مكائد الأعداء:

نحن في عصر اشتد فيه الصراع بين الحق والباطل، وقد

تطورت أساليب الأعداء في حرب الإسلام والمسلمين، وبخاصة عندما أثبت لهم التاريخ أن أي معركة مباشرة مع المسلمين لن تكون في صالح الكفر إن عاجلاً أو آجلاً.

وهنا لجأوا إلى أساليب المكر والخديعة والتلبيس، وقد انطلتْ هذه الأساليب على كثير من المسلمين، وانخدعوا بالشعارات التي يرفعها أعداء الله، **ومن هنا كانت كثير من المواقف** التي وقفها العلماء والدعاة في بعض بلاد المسلمين غير متكافئة مع خطط الأعداء ومؤامراتهم.

وهذه نتيجة الجهل بفقه الواقع، وها نحن ندفع ثمن هذا الأمر ربَا فضلٍ ونَسيئة.

أن الحكمة هي فعل ماينبغي، كما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي.

فكيف نفعل ما ينبغي كما ينبغي إذا كنا لا ندرك ماذا ينبغي؟ لأنْ الحكم فرع عن التصور، وتصوّرنا لعدونا يشوبه النقص والتقصير.

١٦ - **وأخيرا فإن من خوارم الحكمة: الغلظة والعنف والطيش**: وما وُجدت الفظاظة في شيء إلا شانته، وما نزعت من شيء إلا زانته، ويكفي لبيان ذلك أن نتأمل قوله - تعالى -: **﴿ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلب لانفضُّوا من حولك﴾**. (آل عمران، الآية: ١٥٩). وسرعة الغضب والانفعال من خوارم وقوادح الحكمة.

وبعد:

فهذه أهم خوارم الحكمة، وموانعها، وحريّ بالدعاة إلى الله أن يتأملوها ليجتنبوها، وعلى طلاب العلم أن يُحذّروا أمتهم منها، ليكونوا مسدَّدين في أقوالهم، وأفعالهم، ونياتهم.

أركان الحكمة وأسبابها

ذكـرت في المبحث السابق خوارم الحكمة وموانعها، وقدّمت ذكرها على أركان الحكمة وأسبابها، لتكون واضحة جلية ونحن نتحـدث عن الأسس والأركان، **وذلك من قولهم**: التخلية قبل التحلية، أي لابد من التخلي عن الموانع والخورام، قبل التلبس بالأركان، والبحث في الأسباب.

وقد جمعت بين الأركان والأسباب لأن بينهما عمومًا وخصوصًا، فكل ركن سبب، لا العكس.

١ - التجرد والإخلاص والتقوى:

هذا هو الأساس لكـل عمل، والمنطلق لكل هدف وغاية، فالله - سبحـانـه وتعـالى - يقول: ﴿**واتقوا الله ويعلّمكم الله**﴾. (البقرة، الآية: ٢٨٢). ويقول: ﴿**قل إن صلاتي ونُسكي ومَحْيَايَ ومماتي لله ربِّ العالمين. لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين**﴾. (الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣). ويقول - سبحانه -: ﴿**وما أُمروا إلا ليعبُدوا الله مخلصين له الدين حُنَفاء**﴾. (البينة، الآية: ٥).

والرسول، ﷺ، يقول: «**إن الله لا ينظر إلى أجساكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[٧٥].

---

(٧٥) مسلم (٢٥٦٤).

إننا لا نتصور حكمة بدون تجرد وإخلاص، **ولذلك ذكرت أن من موانع الحكمة**، الهوى، فإذا كان الهوى من موانع الحكمة فإن الإخلاص والتقوى أساسها. ﴿**ومَن يتقِ الله يجعل له مخرجًا ويرزقْه من حيث لا يحتسب**﴾. (الطلاق، الآية: ٢). ﴿**ومن يتق الله يجعل له من أمره يُسرًا**﴾. (الطلاق، الآية: ٤). ونلمس هذا المعنى في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**واجعلنا للمتقين إمامًا**﴾. (الفرقان، الآية: ٧٤). فإنه لن يكون إمامًا إلا إذا كان حكيمًا، وإذا كان إمامًا للمتقين، فالتقوى صفة للإمام قبل المأمومين.

٢ ـ التوفيق والإلهام:

إن الحكمة مطلب عزيز، وغاية سامية، ورتبة رفيعة، ينال صاحبها سمة من سمات الأنبياء والرسل، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ ولذا فليست متاحة لكل فرد، بل هي مع بذل الأسباب وتوافر الأركان فضل من الله ونعمة، ولذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩). وبين أنه أعطى لقمان الحكمة ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾. (لقمان، الآية: ١٢).

وسأَلَ رسول الله، ﷺ، ربّه أن يُلهِم ابن عباس الحكمة، ويعلّمه إيّاها. «**اللهم علمه الحكمة**»[٧٦]. رواه البخاري. وعندما

---

(٧٦) سبق تخريجه. ص ٨

نفقه هذه الحقيقة، فإنه يتعين علينا أن نتعامل معها بما يجب أن نعمله من أسباب، ليمنّ الله علينا بها، ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩).

٣ ـ العلم الشرعي:

والعلم من أهمّ قواعد الحكمة ودعائمها، فكما أن الجهل مانع من موانعها، **فإن العلم سبب من أسبابها، وركن من أركانها.**

ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿إنّما يخشَى الله من عباده العلماءَ﴾. (فاطر، الآية: ٢٨). وخشية الله من الحكمة، وقال تعالى ـ: ﴿قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون﴾. (الزمر، الآية: ٩). لا يستوون في أشياء كثيرة، ومنها إدراك الحكمة.

وقرن الله بين الحكم ـ وهي الحكمة ـ والعلم في عدة آيات من كتاب الله، فيقول ـ سبحانه ـ عن لوط: ﴿ولوطًا آتيناه حُكمًا وعلمًا﴾. (الأنبياء، الآية: ٧٤). ويقول عن يوسف: ﴿ولما بلغَ أشُدَّه آتيناه حُكمًا وعلمًا﴾. (الأنبياء، الآية: ٧٩). ويقول عن داود وسليمان: ﴿وكلًّا آتينا حُكمًا وعلمًا﴾. (الأنبياء، الآية: ٧٩). وقال عن موسى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حُكمًا وعلمًا﴾. (القصص، الآية: ١٤).

وهذه **الآيات من أقوى الأدلة** على اقتران الحكمة بالعلم، ولذلك يقول ـ سبحانه ـ: ﴿ولو رَدّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾. (النساء، الآية: ٨٣). وعلم

الأمر المختلف فيه أو ما يشكل على العامة هو الحكمة، وأولو الأمر هنا هم العلماء، وكذلك نفهم ارتباط العلم بالحكمة والحكمة بالعلم، من قول الرسول، ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» والله ـ سبحانه ـ يقول: ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩).

ومن خلال هذه الأدلة يتضح لنا هذا الأمر، بل إنّ بعض العلماء فسّروا الحكمة بالعلم، وممن أطال في ذلك وفصّل فيه رشيد رضا(*)، وكذلك الرازي(٧٧)، وهذه حقيقة، فالزمها تؤتَ الحكمة.

٤ ـ التجربة والخبرة:

وهما من أهم أسباب التوفيق للحكمة، وقد ورد عند البخاري في الأدب المفرد:

«**لا حكيم إلا ذو تجربة**»، والمثل المعروف يقول: «اسأل مجرب ولا تسأل طبيب»، إن التجربة في الحياة رصيد ضخم تعادل أعلى الشهادات، **فإذا أضيفت إلى العلم** أصبحت أهم من الشهادة، وهل الشهادة إلا علم وتجربة، مع أنها في الغالب تكون تجربة قاصرة.

(*) انظر تفسير المنار ٣/٧٥.

(٧٧) انظر: تفسير الرازي ٧/٦٧.

ولقد وقفت طويلاً عند آية وردت في القرآن، وهي قوله - تعالى -:
﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعْني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحًا ترضاه﴾ . (الأحقاف، الآية: ١٥). فإنني ألحظ أن ارتباط بلوغ الأشد والاستواء بسن الأربعين له عدة دلالات، ومنها أن المرء يكون قد حصل على رصيد مناسب من التجربة، بل إنني ألمس في حياة الناس أن ما قبل الأربعين رصيد التجربة فيه أقوى من رصيد العطاء، وما بعد الأربعين سمة العطاء فيه أقوى من التجربة ألا وهي الخبرة، حيث إن الأربعين مرحلة وسطية في عمر الإنسان، حيث إن ما قبلها من العمل يعادل ما بعدها في الأعم الأغلب.

ومما يجري في سياق الآية، أن رسول الله، ﷺ، بُعث على الأربعين، والله - سبحانه - يقول عن يوسف، عليه السلام، :
﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ . (القصص، الآية: ١٤).
قال الحسن: «بلغ أربعين سنة»(٧٨).

وخلاصة الكلام:

أن التجربة عامل مهم في حصول الحكمة وتحققها.

---

(٧٨) انظر: تفسير ابن كثير ٢ /٤٧٣ مع اختلاف المفسرين في ذلك.

٥ - الاستشارة:

ذكرت أن الفردية من خوارم الحكمة، ومن وسائل تجنّب الفردية الاستشارة.

والشورى لها مكانتها في الإسلام، وللدلالة على أهميتها وعظم منزلتها، أن الله ـ سبحانه ـ أمر نبيه، ﷺ، وهو المعصوم الذي يوحَى إليه، أن يستشير صحابته فقال ـ سبحانه ـ: **﴿وشاورهم في الأمر﴾** (آل عمران، الآية: ١٥٩). بل إن هذه الآية جاءت في سياق يفيد أن هذا هو مقتضى الحكمة، **﴿فَبِمَا رحمةٍ من الله لِنتَ لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضُّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاوِرْهم في الأَمر فإذا عزمتَ فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾**. (آل عمران، الآية: ١٥٩).

وقال ـ سبحانه ـ واصفًا المؤمنين ومثنيًا عليهم: **﴿وأمرُهم شورى بينهم﴾**. (الشورى، الآية: ٣٨). بل إنني وجدت آية أخرى نص في المسألة، وهي قضية فطام الولد فقد قال ـ سبحانه ـ: **﴿فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتَشَاوُرٍ فلا جناح عليهما﴾**. (البقرة، الآية: ٢٣٣). وفصل الولد وفطامه يحتاج إلى حكمة حتى لا يضارّ وهو صغير لا حول له ولا قوة، وقد يكون ضحية خلاف بين الوالدين، فجعل التشاور شرطًا للفطام، وليس مجرد التشاور كافيًا، بل لابد أن يكون تشاورًا حقيقيًا، تكون نتيجته التراضي

والاتفاق، وإلا فلا، ولذلك قال ابن كثير:

أي: فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما، فيؤخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبدّ في ذلك من غير مشاورة الآخر، قاله الثوري وغيره(٧٩).

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية الشورى، وأثرها في مواجهة الأحداث، ولو استغنى أحد عنها لاستغنى رسول الله، ﷺ، الذي كان يشاور صحابته عند الملمات، بل إنه كان يأخذ برأيهم ولو خالف رأيه - أحيانًا - كما حدث في أُحد.

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به
رغم الخلاف، ورأي الفرد يشقيها

ولذا يقول الشاعر:

ومِن الرجال إذا استوت أخلاقهم
مَن يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يحل بكل واد قلبه
فيرى ويعرف ما يقول فينطق

---

(٧٩) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٨٤.

ويقول الآخر:

إذا كنت في حاجة مرسلاً
فأرسلْ حكيماً ولا توصه

وإن باب أمرٍ عليك التوى
فشاور لبيباً ولا تعصه

وقد قيل: الناس ثلاثة:

رجل كامل أي ـ الكمال النسبي ـ وهو الذي له عقل ويستشير، ونصف رجل: وهو الذي له عقل(٨٠) ولا يستشير، والثالث: لا شيء، وهو الذي لا عقل له ولا يستشير(٨١)

٦ - بعد النظر وسمو الأهداف:

إن الذي يعيش لقضية مصيرية يختلف عن إنسان يعيش على هامش الحياة، فعند وقوع حدث من الأحداث، أو مواجهة قضية من القضايا سنجد الفرق بين التفكيرين، لأن الأول سيربط القضية بالأهداف التي يسعى إليها، ويعالجها من خلال منظور معين، وهذا الذي يرمي إليه الشاعر، بقوله:

ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم
من يستشار إذا استشير فيطرق

---

(٨٠) وأرى أنه لو كان له عقل لاستشار.

(٨١) انظر: حتى لا تغرق السفينة ص٦٨.

حتـــى يحل بكــل واد قلبــه
فيرى ويــعــرف ما يقــول فيــنــطق

والشاهد هنا: (حتى يحل بكل واد قلبه).

أما الثاني فإنه يعطي الرأي، ويتخذ الموقف بناء على الظروف المحيطة به، بعيدًا عن النظر في الأسباب والنتائج والآثار فهو بادىء الرأي.

ولذا فإن علو الهمة، وبعد النظر، سبب من أسباب التوفيق في الرأي، والسداد فيه، **وصدق الشاعر**:

وإذا كانـــت الـــنفــوس كبــارًا
تعــبــتْ في مرادهــا الأجــســام

٧ ـ فقه السنن:

وهي عامل مهم في نضوج الرأي وسلامة التفكير، لأن التفكر في السنن الكونية والشرعية مما حث القرآن على العناية به: ﴿**أَوَلم يسيروا في الأرض**﴾. (الروم، الآية: ٩). ﴿**أفلم يسيروا في الأرض**﴾. (يوسف، الآية: ١٠٩). حيث وردت عدة مرات، فنجد في سورة الحج ٤٦: ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها**﴾. فقرن السير في الأرض ـ وهو إمّا حسيّ أو معنويّ ـ بالعقل، وهو موطن الحكمة، بل إنَّ الآيات جاءت أمرًا بالسير في الأرض، ولم تقتصر على الاستفهام فقال سبحانه في عدة آيات:

﴿فســيروا في الأرض﴾. (النســاء، الآية: ١٣٧). ﴿قـل سيروا في الأرض﴾. (الأنعام، الآية: ١١).

إن قراءة التاريخ والاطلاع على أحوال الأمم الماضية يضيف إلى رصيد التجربة رصيدًا علميًا من تجارب الآخرين، ولذا قال الشاعر:

اقـرأ الـتـاريـخ إذ فيـه الـعِـبَر
ضل قوم ليس يدرون الخـبر

وكلما تعمق الإنسان في رؤية الماضي من خلال السنن الكونية والشرعية، كان أكثر قدرة على وضوح الرؤية في المستقبل، ضمن الضوابط الشرعية والعقلية.

٨ - رجاحة العقل:

إن العقل مكان الحكمة وبيتها، وبين العقل والحكمة اشتراك لفـظي ومعنـوي، وقد يُطلَق العاقل على الحكيم، والحكيم على العاقل، فإذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

حيث إن الحكمة أعمّ من العقل، وأشمل.

ومـما يدل على علاقـة العقل بالحكمة أن الله لما ذكر الحكمة فقال: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثـيراً﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩). ختمها بقوله: ﴿وما يذكّر إلا أولو الألباب﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩). أي أولو العقول، قال ابن عاشور:

وقوله: ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (البقرة، الآية: ٢٦٩). تذييل للتنبيه على أن من شاء الله إيتاء الحكمة هو ذو اللب، وأن تذكر الحكمة واستصحاب إرشادها بمقدار استحضار اللب وقوته، واللب في الأصل خلاصة الشيء وقلبه، وأطلق هنا على عقل الإنسان لأنه أنفع شيء فيه[٨٢].

ولأثر العقل في تصرفات المرء وسلوكه، ذكره الله في القرآن كثيرًا، تنويهًا بمكانته، وأثره في الحياة.

٩ ـ العدل:

أمر الله بالعدل في كتابه في عدة مواضع، ولا يمكن أن تجتمع الحكمة مع الظلم، والحيف والجور.

يقول ـ سبحانه ـ: ﴿**إن الله يأمر بالعدل**﴾. (النحل، الآية: ٩٠). ويقول ـ تعالى ـ: ﴿**ولا يجرمنَّكم شنآن قوم على ألّا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾. (المائدة، الآية: ٨). وفي سورة الأنعام ١٥٢: ﴿**وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى**﴾. وفي سورة الشورى ١٥: ﴿**وأُمرت لأعْدِلَ بَينكم**﴾. وعند التأمل في هذه الآية، تتضح علاقة الحكمة بالعدل، بل مكانة العدل من الحكمة، ﴿**وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبْكَمُ لا يقدر على شيءٍ وهو كَلٌّ على مولاه**

---

(٨٢) انظر: التحرير والتنوير ٣/ ٦٤.

أينما يُوجّهه لا يأتِ بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ . (النحل، الآية: ٧٦).

والحكم والحكمة اشتقاقهما واحد، ومعناهما متقارب، وعند النظر في دلالات الحكمة، نجد أنها في مآلاتها بمعنى الحكم، لأن الحكم هو الحكم بين المتخاصمين أو بين الخصوم، والحكمة هي النظر في أمرين أو عدة أمور، واختيار الصائب أو الأصوب منها، والله ـ سبحانه ـ قد جعل العدل أساس الحكم. **﴿إن الله يأمركم أن تُؤدوا الأمانَاتِ إلى أهلِهَا وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾** . (النساء، الآية: ٥٨). فكما أن العدل من لوازم الحكم، فهو من لوازم الحكمة، بل ركن من أركانها، وأساس من أسسها، والعدل والحكمة معناهما: «**وضع الشيء في موضعه**»، وإن كانت الحكمة أعمّ من العدل ـ كما سبق بيانه ـ.

١٠ ـ التثبت:

من الوسائل التي تؤدي إلى الحكمة، التثبت، والتثبت: منهج شرعي دعا إليه القرآن، حيث قال ـ سبحانه ـ: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾** . (الحجرات، الآية: ٦).

وبما أن العجلة والاستخفاف من خوارم الحكمة، فإن التأني والتثبت من دعائمها.

والعجلة من الشيطان، ولذلك قال الله ـ تعالى ـ لرسوله،

ﷺ: ﴿ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون﴾ (الروم، الآية: ٦٠). وهذه الآية أعمّ من التثبت، بل هي أمر بالصبر، **والتثبت يحتاج إلى الصبر**.

وفي آية الحجرات بعد أن أمر الله بالتبيّن، قال في الآية التي بعدها: **﴿واعلموا أن فيكم رسولَ الله لو يُطيعكم في كثيرٍ من الأمر لَعَنِتّم﴾**. (الحجرات، الآية: ٧). أي لو أن الرسول، ﷺ، استجاب لما يريدون دون تثبت ولا رويّة لأصابهم العنت والمشقة، الحسية والمعنوية، وهذا مما يخالف الحكمة ومقاصدها.

والذي يمعن النظر في كثير من الأحداث المعاصرة، يدرك أن من أبرز أسباب آثارها السلبية، العجلة وعدم التثبت.

ولقد أدرك الأعداء هذه الثغرة، فأكثروا من الإشاعات والأراجيف، وتلقاها كثير من المسلمين بدون روية ولا تبصر، ولم يلتزموا المنهج الرباني، بالتثبت وردّ الأمر إلى أهله، كما أمر الله ـ تعالى ـ: **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمْنِ أو الخوفِ أذَاعُوا به ولو ردّوه إلى الرسولِ وإلى أولِي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطُونه منهم﴾**. (النساء، الآية: ٨٢). ولهذا فقدنا الحكمة في كثير من الأحداث التي مرت بالمسلمين، **فجاءت النتائج كما نرى**.

١١ ـ المجاهدة:

قال الله ـ تعالى ـ: **﴿والذين جاهدوا فينا لنَهدينّهم سُبلنا﴾**

(العنكبوت، الآية: ٦٩). أي لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة، كما فسرها الإمام الطبري[٨٣]، والحكمة هي التوفيق لإصابة الحق.

ولهذا فإن من أعظم الأسباب للتوفيق للحكمة، هي المجاهدة، وهي مفاعلة من الجهاد، فهو جهاد بعد جهاد، وحمل للنفس على تحقيق مراد الله مرة بعد أخرى.

وهذه الآية وعد من الله بأن من جاهد نفسه طالبًا للحكمة باحثًا عنها أن يوفقه الله إليها، ولو بعد حين، وهذا وعد الله، ومَن أصدق من الله قيلاً.

١٢ - الدعاء والاستخارة:

قال الله - سبحانه -: ﴿وإذا سألك عِبادِي عَنّي فإني قريب أُجيْب دعوةَ الدّاع إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يَرشُدون﴾. (البقرة، الآية: ١٨٦). قال ابن عاشور: الرشد: إصابة الحق، وفعله[٨٤].

وقد تقدم أن من معاني الحكمة: الإصابة في القول، والعمل.

والدعاء له منزلة عظيمة، وآثاره مشاهدة، ملموسة، وتكرّرَ في القرآن وروده، قال - سبحانه -: ﴿أمّن يُجيب المضطرَّ إذا دعاه﴾. (النمل، الآية: ٦٢). وقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾. (غافر،

---

(٨٣) انظر: تفسير الطبري ٢١/ ١٥.

(٨٤) انظر التحرير والتنوير ٢/ ١٨٠.

(الأعراف، الآية: ٦٠). وقال: ﴿ادعوا ربكم تَضرّعًا وخُفية﴾. (الأعراف، الآية: ٥٥).

والاستخارة قرينة الدعاء، بل هي نوع من الدعاء المشروع عندما يعرض للمرء طريقان فأكثر ولا يدري أيها يسلك، فإنه بالاستخارة يوفق للصواب والحكمة.

١٣ ـ الصبر:

الصبر مفتاح الفَرَج، ولقد وردت آيتان في كتاب الله، وقفت عندهما متأملًا، وخرجت بعد ذلك مستنتجًا، أن الصبر دعامة من دعائم الحكمة، بل سبب من أسبابها، وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وجعلناهم أئمة يَهدون بأمرنا﴾. (الأنبياء، الآية: ٧٣). وفي السجدة: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لـمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾. (السجدة، الآية: ٢٤).

إن الصبر من أعظم أسباب توفيقهم للإمامة، ولا يمكن أن يكون إمامًا للمتقين إلا إذا كان حكيمًا، قال الإمام الطبري: وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير، يؤتَمّ بهم، ويهتدي بهديهم[٨٥].

ولمنزلة الصبر وأثره في الحياة، وردت آيات كثيرة تحث عليه وتأمر به، ومن الآيات التي وردت تبين أثر الصبر في الحصول على

(٨٥) انظر: تفسير الطبري ٢١/١١٢.

الحكمـة والتوفيق لها، منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم. وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يُلقّاها إلا ذو حظٍّ عظيم**﴾. (فصلت، الآيتان: ٣٤، ٣٥).

فإن الإنسان إذا سلك منهجًا يجعل من عدوه حميمًا وصديقًا، فإن ذلك دليل على الحكمة وحسن التصرف.

والقـرآن يبين أنه لن يصل إلى هذه المنزلة إلا من كان صابرًا موفقًا، وهناك آيات كثيرة عند التدبر لها، يدرك المسلم منزلة الصبر من الحكمة، وأثره في التوفيق لها، ومنها:

قولـه ـ تعـالى ـ: ﴿**واستعينـوا بالصـبر والصـلاة**﴾. (البقـرة، الآية: ٤٥). وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿**واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزْم الأمور**﴾. (لقمان، الآية: ١٧). وقوله: ﴿**قال إنك لن تستطيع مَعِيَ صبراً**﴾. (الكهف، الآية: ٦٧). وقـولـه: ﴿**قـال ستجـدني إن شاءالله صابرًا**﴾. (الكهف، الآية: ٦٩). وقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تُفلحون**﴾. (آل عمران، الآية: ٢٠٠).

ومن خلال ما سبق يتضـح أن الصـبر من صفات الحكماء، ولذلك أوصى الله به رسله، وأنبيائه، وعباده المؤمنين.

١٤ ـ الرفق ولين الجانب:

وخير ما أختم به هذا المبحث من الأركان، والأسباب التي تؤدي إلى الحكمة هو الرفق واللين، فإن الله رفيق يحب الرفق، والرسول، ﷺ، يقول: «**إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه**»[٨٦].

وكان، ﷺ، وهو الرفيق بأمته يوصي صحابته بالرفق والسكينة دائمًا، وقد مدح الله ـ جل وعلا ـ رسوله، ﷺ، فقال: ﴿**فبما رحمة من الله لِنتَ لهم**﴾. (آل عمران، الآية: ١٥٩). فالرفق واللين من سمات الحكماء.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هناك فهمًا خاطئًا لمفهوم اللين، حيث يتصور الكثير أن الرفق واللين مرادف للضعف. وهذا فهم خاطىء، فإن الرفق واللين لا يضاد القوة، ولا يستلزم الضعف، وإنما يضاد العنف والفظاظة والغلظة، ومن الأدلة على ذلك:

١ ـ **أن الله ـ تعالى ـ وصف رسوله، ﷺ، باللين**، ومدحه بذلك، ونفى عنه الفظاظة والغلظة، ولا يمدح إلا بالممدوح.

٢ ـ **أن الرسول، ﷺ، من أقوى الرجال بل هو أقواهم**، مع اللين والرحمة، والرفق وخفض الجانب.

---

(٨٦) مسلم (٢٥٩٣)، (٢٥٩٤).

٣ ـ **أن الرسول**، ﷺ، **أوصى** الذي يريد أن يذبح ذبيحته **باللين والرفق**، والذبح من مظاهر القوة لا الضعف «**وليُحدّ شفرته وليرح ذبيحته**»[٨٧]. وفي هذا الحديث دليل على أن القوة باللين والرفق، فحدّ الشفرة، دليل على القوة بلين ورفق.

٤ ـ **أن الجهاد مظهر من مظاهر القوة**، بل هو القوة بعينها، ومع ذلك ينهى فيه عمّا يؤدي إلى العنف والغلظة، فنهى عن المثْلة ونحوها.

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين اللين، والرفق وبين القوة، وكلها من صفات الحكماء.

وبعد:

فهـذه أهم وأبرز أركان الحكمة وأسبابها، حسب ما ظهر لي بالتتبع والاستقراء لكتاب الله ـ عز وجل ـ.

وقد تجتمع هذه الأركان في شخص واحد، وهو نادر وقليل، وقد تتوافر في مجموعة من الأفراد، فبمجموعهم تتوافر فيهم أركان الحكمة وسماتها.

وكما ذكر العلماء، أن المجدد قد يكون فردًا واحدًا، وقد يكونون مجموعة من العلماء، والدعاة يجددون لهذه الأمة أمر دينها[٨٨].

---

(٨٧) رواه مسلم (١٩٥٥).

(٨٨) انظر: كتاب التجديد والمجددون.

ولهذا فإن الحكمة قد تكون كاملة وقد تكون نسبية، وهو الأكثر(*)، وهذا المفهوم يساعدنا في البحث عن الحكمة والحكماء عند مواجهة الأحداث والأزمات.

(*) قال ابن القيم في مدارج السالكين ٤ / ٤٧٩: والله ـ تعالى ـ أورث الحكمة آدم وبنيه، فالرجل الكامل من له أرث كامل من أبيه، ونصف الرجل كالمرأة له نصف ميراث، والتفاوت في ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى.
وأكمل الخلق في هذا: الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم، وأكملهم أولو العزم، وأكملهم محمد، ﷺ، ولهذا امتنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه، وعلى أمته بما آتاهم من الحكمة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك مالم تكن تعلم﴾.
وقال: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون﴾.

أمور يندر فيها مراعاة الحكمة

هناك أمور وقضايا كثيرة يتساهل كثير من الناس في مراعاة الحكمة فيها، مع أنها أولى من غيرها، لأهميتها ولما يترتب على ترك الحكمة فيها من آثار سلبية.

ولست في مقام حصر هذه الأشياء وتعدادها، ولكن سأذكر بعضًا منها على سبيل الإيضاح والبيان.

١ - الوالدان والأولاد والزوجة والأهل والأرحام.

فموضوع برّ الوالدين وتربية الأولاد، ومصاحبة الزوجة ومعاشرتها، وصلة الأهل والأرحام والأقارب موضوع وقع الناس فيه بين إفراط وتفريط، وقليل منهم من يوفق إلى الأسلوب الأمثل ويؤدي حق الله في هذا الجانب.

فمثلاً: الزوجة، هناك من أساء فهم حق القوامة التي منحه الله أيّاها، ﴿**الرجال قَوّامُون على النساء**﴾. (النساء، الآية: ٣٤). فتسلط على زوجته واعتبرها مملوكة له، يعاملها كما يعامل السيد مملوكه، وتجاهل حقوقها، والمنهج الشرعي في معاشرتها، ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾. (النساء، الآية: ١٩). وهذا استعباد لم يأذن به الله، وآخرون خضعوا لسلطان الشهوة. ﴿**زُيّن للناس حبُّ الشهوات من النساء**﴾. (آل عمران، الآية: ١٤). فاستعبدتهم النساء، وأصبحت المرأة هي السيدة في البيت، فلا يُقضَى أمر دونها، ولا

يعتذر عن مطلب من مطالبها، فضاعت القوامة، ولن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة.

والقليل مَن وفِّق إلى العمل بهذه الأدلة: ﴿**الرجال قوامون على النساء**﴾. (النساء، الآية: ٣٤). ﴿**وللرجال عليهن درجة**﴾. (البقرة، الآية: ٢٢٨). ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾. (النساء، الآية: ١٩). وقول الرسول، ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقًا رضي منها خُلُقًا آخر**»[٨٩]. وقوله: «**إنما هن عوان عندكم**»[٩٠]. أي أسيرات وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تبين حق الزوجة والزوج.

٢ - التعامل مع المجتمع:

فلا يخلو مجتمع من المجتمعات من التناقضات، والمجتمع يحتاج إلى أسلوب حكيم في التعامل معه، جلبًا وتنمية للإيجابيات، ودرءًا للسلبيات، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلوّ ولا جفاء.

٣ - أهل البدع:

وهذا موضوع مهم للغاية، وقد بيّن العلماء المنهج الشرعي في التعامل مع أهل البدع، وفرقوا بين البدع صغيرها وكبيرها،

---

(٨٩) مسلم (٦٣، ١٤٧٠).

(٩٠) أخرجه الترمذي (١١٦٣) وقال: وهذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة (١٨٥١).

والظاهر منها والمستتر، كما فرقوا بين الداعي إلى بدعته، والقاصرها على نفسه.

وليس هذا مكان بيان ذلك، ولكن أردت أن أشير إلى الخلل الواقع في ذلك من قِبَل بعض الدعاة وطلبة العلم، مما يجانب الحكمة ويضادّها.

٤ - إنكار المنكر:

لماذا إنكار المنكر؟ وهل الأمر بالمعروف لا يحتاج إلى حكمة؟

ليس الأمر كذلك، ولست في بيان الأمور التي تحتاج إلى الحكمة، وإنما المراد هو الإشارة إلى ما يفتقر إلى الحكمة من حيث الواقع، والمشاهد أن الإخلال بالحكمة في النهي عن المنكر أعظم من الإخلال بها عند الأمر بالمعروف.

وكذلك فإن ضوابط إنكار المنكر قد تخفى على الكثيرين، أكثر من خفاء ضوابط الأمر بالمعروف.

وخلاصة القول: إننا بحاجة إلى الحكمة عند الأمر بالمعروف، ولكننا أشدّ حاجة إليها عند إنكار المنكر.

لأنه لابد من مراعاة قاعدة المصالح والمفاسد، وقاعدة سدّ الذرائع، وغيرهما من القواعد الشرعية. والإخلال بالحكمة له آثاره التي لا تخفى، ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذّكّر إلا أولو الألباب﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩).

٥ - إشاعة بعض الأخبار والمفاهيم:

يقول الله ـ سبحانه ـ وتعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾. (النساء، الآية: ٨٣).

من القضايا التي تقل فيها مراعاة الحكمة:

إشاعة الأخبار، مما ظاهره المسرة أو الخوف، وقد يكون وراء هذه الأخبار أهداف تخفى على الكثيرين، وبخاصة وقت الأزمات والحروب.

ولأن الحكمة ليست متاحة لكل أحد أمر الله بردّ هذه الأخبار إلى رسول الله، ﷺ، في حياته، وإلى سنته وعلماء الأمة بعد وفاته، ﷺ، لأن أولئك هم الذين يدركون الحكمة، ويعلمون ما وراء هذه الأخبار، ومن ثَمَّ يقررون ما يناسب الحال.

وهم الذين يفقهون قول الرسول، ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع»[٩١]. لأن كثيراً من الإشاعات والأخبار ليست على ظاهرها، بل قد تكون مكذوبة من أصلها.

٦ - النقد وبيان الأخطاء:

هذه مسألة ظل فيها كثير من الناس، فطائفة أطلقوا ألسنتهم

(٩١) مسلم (٥).

دون حسيب أو رقيب، وديدنهم النقد والتجريح وإحصاء الأخطاء والمثالب، لا يسمعون بمنقصة إلا أشاعوها، ولا بمذمة إلا إذاعوها، وطائفة أخرى اعتبروا النصيحة فضيحة، والتنبيه على الأخطاء تجريحًا، وجعلوا لبعض الأفراد والهيئات والجماعات قداسة لا تُمس، ومنحوهم حصانة لا تُرفع، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

ومن هنا فإن موضوع النقد وبيان الأخطاء موضوع حساس، له ضوابط يجب أن تراعى، وحدود لا يجوز تعديها وتجاوزها.

ومراعاة هذا الأمر هو الحكمة التي نعنيها، والضالة التي ننشدها.

هذه نماذج من أمور كثيرة يجب أن تراعى الحكمة فيها، ونلحظ تساهل كثير من الناس في ذلك، مما ترك كثيرًا من الآثار السلبية في واقع المسلمين ومجتمعاتهم.

مسائل متعارضة سوى الناس بينها

هناك مسائل وقضايا اختلط الأمر فيها على بعض المسلمين، فسوَّوْا بينها مع أنها متضادة ومتعارضة، وبينها خيط رفيع لا يدركه إلا الحكماء، ممن وهبهم الله البصر والبصيرة.

فمثلاً نجد الخلط بين الإسراف وبين الكرم، والخلط بين البخل وبين التوفير أو الاقتصاد. والأول مذموم، والثاني ممدوح، ومطلوب.

ولذا فبعض الناس يصف الكريم بالإسراف، وآخرون يصفون المسرف بالكرم، وهكذا.

وسأذكر بعضًا من هذه القضايا والمسائل، تنبيهًا إلى خطورة عدم التفريق بينها، وتصور أنها من المتماثلات، لنكون على بينة من أمرنا تجنبًا لإطلاق الكلام على عواهنه، دون تبصّر لحقيقته وآثاره.

فمن ذلك الخلط بين:

١ ـ القوة وبين العنف والغلظة.

٢ ـ الرفق واللين وبين الضعف.

٣ ـ المداراة وبين المداهنة.

٤ ـ المصلحة وبين المفسدة.

٥ ـ النصيحة وبين التشهير.

٦ ـ الإسرار وبين السكوت عن الحق.

٧ - الغيرة **وبين** الاندفاع غير المنضبط.

٨ - العزة **وبين** التكبر.

٩ - التواضع **وبين** الذل.

١٠ - التأني **وبين** البرود والخمول والكسل.

١١ - الشجاعة **وبين** التهور.

١٢ - خوف الفتنة **وبين** الجبن والخوف.

وكثير من الناس يصعب عليه التفريق بينها، فتجد من يصف الشجاع بالتهور، وتجد من يُثني على المتهور ويصفه بالشجاعة.

ونرى من يسم الناصح بالتشهير، وآخرون يبررون عمل الذي يشهِّر بالناس بأنه ناصح، وهكذا.

والمنهج الصحيح هو تسمية الحقائق بأسمائها، ولا يتسنى ذلك إلا لمن رُزق علمًا وفهمًا وقدرة على وضع الشيء في موضعه، **وهذه هي الحكمة التي نتحدث عنها.**

الخاتمة

وبعد:

فهـذه هي الحكمة كما فهمناها من كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله، ﷺ، حيث اتضح لنا الأثر الإيجابي الذي يتركه من التزم بالحكمة ووُفِّق لها.

أمّا من لم يوفَّق للحكمة، وهم كُثر ـ لا كثّرهم الله ـ فقد جنوا على الأمـة المصائب والويلات لتصرفاتهم التي سببت للمسلمين البلاء والمزيد من تسلط الأعداء.

إنه حريّ بالعلماء وطلاب العلم والدعاة أن يلمّوا بالحكمة، ويلتمسـوا سبلها، في وقت عزّ فيه الحكماء، وبخاصة أمام هذه الهجمة الصليبية المتقنة.

لأننا، وإن كنّا بأمس الحاجة إلى القوة الاقتصادية والعسكرية **فإن حاجتنـا إلى الرأي السديد والنظر البعيد** أشد وأولى وصدق الشاعر، إذ يقول:

الـرأي قبــل شجــاعــة الـشـجـعــان
هو أول وهـــي المـــحـــل الـــثـــاني

والآخر يقول:

ووضـع الـنـدى في موضـع الـسـيـف بالعـلا
مضر كوضـع الـسـيـف في موضـع الـنـدى

وإذا كان يعزّ توافر الحكمة في فرد واحد، فإن توافرها في مجموعة أفراد أحرى وأجدى وأقرب للمنال، ولهذا قال الشاعر:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به

رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

إن الأمة أحوج ما تكون إلى العلماء والدعاة العاملين المخلصين، الملتزمين بمنهج الرسول، ﷺ، في وقت أصبح الحليم حيرانًا.

إن العلاج بين أيدينا في كتاب ربنا، وسنة نبينا، حيث يقول المصطفى، ﷺ: **«تركت فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي»**. وقال: **«تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالِك»**. (٩٢)

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾. (الأنعام، الآية: ١٥٣). ولكن لن يفقه ذلك إلا من آتاه الله الحكمة، ﴿**ومن يؤت الحكمة، فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكّر إلا أولو الألباب**﴾. (البقرة، الآية: ٢٦٩).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

---

(٩٢) رواه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

الفهـــرس

إصدارات دار الوطن للنشر

رسائل ودراسات في منهج أهل السنة

١	التلازم بين العقيدة والشريعة/ د. ناصر العقل	٢ ر.س
٢	القول السديد شرح كتاب التوحيد/ فضيلة الشيخ/ عبدالرحمن السعدي	٥ ر.س
٣	موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية/ محمد عبدالهادي المصري	غ ر.س
٤	مفهوم أهل السنة والجماعة/ د. ناصر العقل	٤ ر.س
٥	مجمل أصول أهل السنة والجماعة/ د. ناصر العقل	١ ر.س
٦	التبرك المشروع والتبرك الممنوع/ د. علي العلياني	٤ ر.س
٧	التمائم في ميزان العقيدة/ د. علي العلياني	٣ ر.س
٨	الرقـــى/ د. علي العلياني	٣ ر.س
٩	من تشبه بقوم فهو منهم/ د. ناصر العقل	٣ ر.س
١٠	منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم/ أحمد الصويان	٣ ر.س
١١	الاخلاص والشرك الأصغر/ عبدالعزيز العبداللطيف	٢ ر.س
١٢	وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق/ جمال بادي (مجلد)	١٨ ر.س

مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان

١٣	الجزء الأول «فتاوى العقيدة»	٩ ر.س
١٤	الجزء الثاني «فتاوى العقيدة»	١٢ ر.س
١٥	الجزء الثالث «فتاوى العقيدة»	١٠ ر.س
١٦	المجلد الرابع «فتاوى الطهارة»	١٨ ر.س

رسائل في العقيدة

١٧	تعليقات على العقيدة الواسطية/ فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين	٣ ر.س
١٨	تقريب التدمرية/ فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين	
١٩	حقيقة الديمقراطية/ محمد شاكر الشريف	٣ ر.س
٢٠	نظرات في الحكم والأمثال الشعبية/ عبدالله العتيق	٢ ر.س
٢١	تحكيم القوانين/ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم	١ ر.س
٢٢	ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة/ الشيخ محمد العثيمين	٣ ر.س

٢٣ **فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء**
سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز
فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين
إضافة إلى: اللجنة الدائمة وقرارات المجمع الفقهي
جمع وترتيب/ محمد بن عبدالعزيز المسند (مجلد) .... ٢٥ ر.س

٢٤ **الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم**/ د. عبدالله الطريقي .... ٣ ر.س

٢٥ **العقيدة الصحيحة** / سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز .... ١ ر.س

٢٦ **الولاء والبراء في الاسلام** / الشيخ صالح الفوزان .... ١ ر.س

٢٧ **رسالة مهمة** / الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود .... ٣ ر.س

٢٨ **نداء عام من علماء بلد الله الحرام** .... ١ ر.س

٢٩ **شرح أصول الايمان**/ الشيخ محمد العثيمين .... ٢ ر.س

٣٠ **الابداع في كمال الشرع وخطر الابتداع**/ الشيخ محمد العثيمين .... ١ ر.س

٣١ **العلمانيــة**/ محمد شاكر الشريف .... ٢ ر.س

٣٢ **حزب البعث تاريخه وعقائده**/ سعيد الغامدي .... ٨ ر.س

رسائل في الفقــه

٣٣ **ضوابط للدراسات الفقهية**/ الشيخ/ سلمان العودة .... ٦ ر.س

٣٤ **توظيف الأموال**/ د. عبدالله الطيار .... ٤ ر.س

٣٥ **المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح الفوزان/**
جمع وترتيب/ عادل الفريدان .... ٩ ر.س

٣٦ **خطب في الطهارة والصلاة**/ الشيخ محمد العثيمين .... ٤ ر.س

٣٧ **رسائل في الطهارة والصلاة/**
سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز والشيخ محمد العثيمين .... ٢ ر.س

٣٨ **فتاوى المسح على الخفين**/ الشيخ محمد العثيمين .... ١ ر.س

٣٩ **حكم تارك الصلاة**/ الشيخ محمد العثيمين .... ١ ر.س

كتب رمضــان

٤٠ **دروس رمضان**/ الشيخ سلمان العودة .... ٦ ر.س

٤١ **خطب الصيام والزكاة**/ الشيخ محمد العثيمين .... ٣ ر.س

٤٢ **كيف نعيش رمضان؟**/ عبدالله الصالح .... ٢ ر.س

٤٣ **ثلاثون درسا للصائمين**/ عائض القرني .... ٦ ر.س

٤٤	رسالة رمضان/ عبدالله الجارالله	٤ ر.س
٤٥	كيف تزكي أموالك؟/ د. عبدالله الطيار	٢ ر.س
٤٦	كي نستفيد من رمضان/	٣ ر.س
٤٧	فتاوى الصيام/ لمجموعة من العلماء جمع محمد المسند	٤ ر.س
٤٨	فتاوى الزكاة/ لمجموعة من العلماء جمع محمد المسند	٣ ر.س
٤٩	أسئلة في صلاة العيدين/ فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين	٢ ر.س
	المسجد مهد الانطلاقة الكبرى / عائض القرني	٢ ر.س
	حث النساء على الصدقة/ مريم السالم	٢ ر.س
٥٠	التحقيق والايضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة/ سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز	٣ ر.س
٥١	التذكرة بأذكار الحج والعمرة/ محمد إسماعيل	٢ ر.س
٥٢	دليل الحاج والمعتمر وزائر مسجد رسول الله ﷺ/	٢ ر.س

فسح وزارة الاعلام رقم ٥٤٢٢/م وتاريخ ١٤١٢/٧/٢٩هـ

الجمع التصويري والإخراج - الفرقان ٤٧٦٧٧٠٧ - ٤٧٦٢٠٦٨

توزيع مؤسسة الجريسي

الرياض ت ٤٠٢٢٥٦٤ - جدة ت ٦٨٢٦١٠٥
الدمام ت ٨٢٧١٨١١ - المدينة ت ٨٣٨٠٥٢٩
القصيم ت ٣٦٤٤٣٦٦ - ابها ت ٢٢٢٠٤٨٥

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ * الرياض